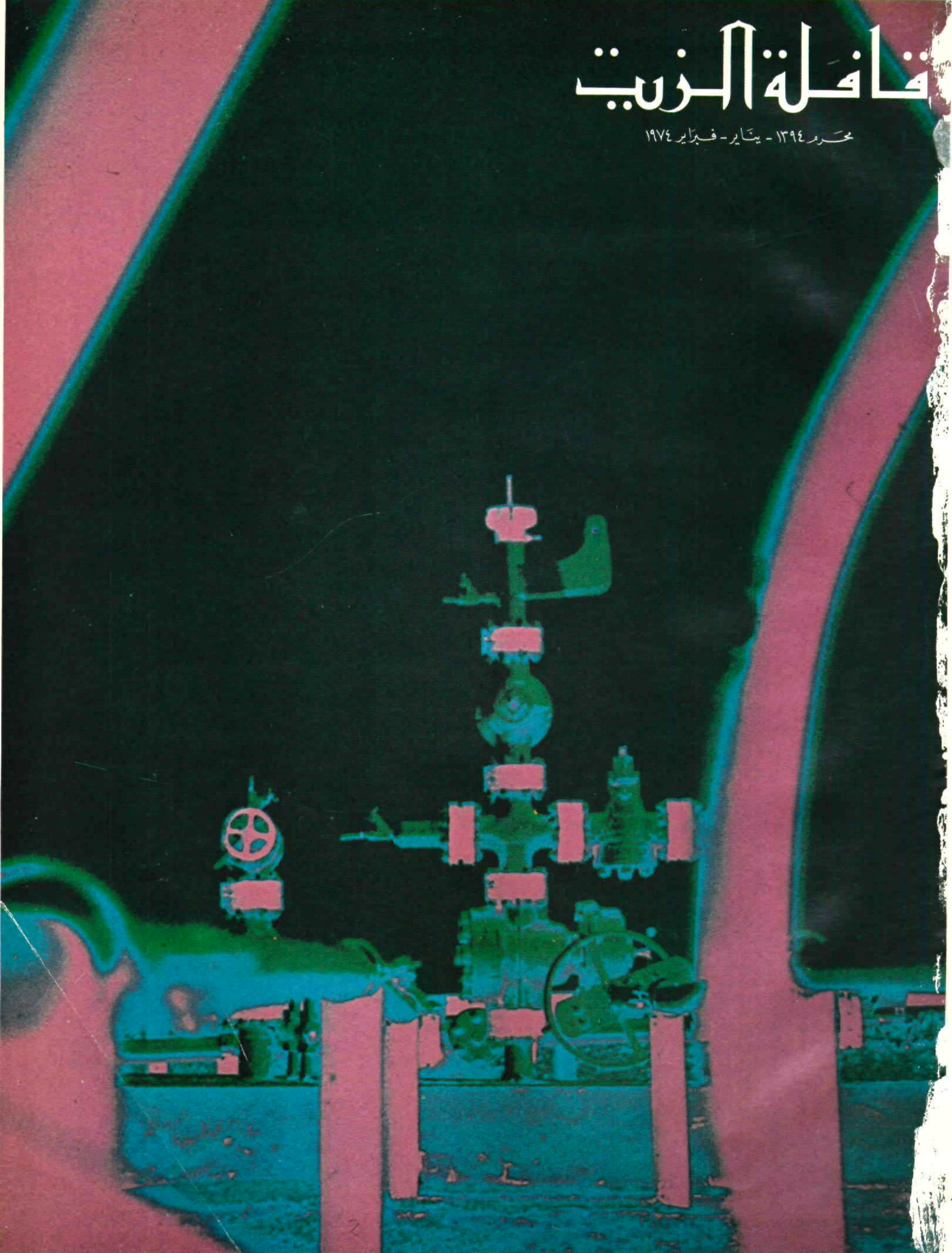


قافلة الزيت

محرم ١٣٩٤ - يناير - فبراير ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الأول   المجلد الثاني والعشرون

محتويات العدد

بحوث أدبية

بحوث علمية

إستطلاعات مصورة

التعليق على صورة الغلاف

بئر الدمـــام رقم – ٧ ، وهي أول بئر تم اكتشاف الزيت فيها بكميات تجارية .

تصوير : برنت مودى

تصدر شهريا عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجانا

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام : فيصل محمد البسام   المدير المسؤول : عبدالله صالح جمعة

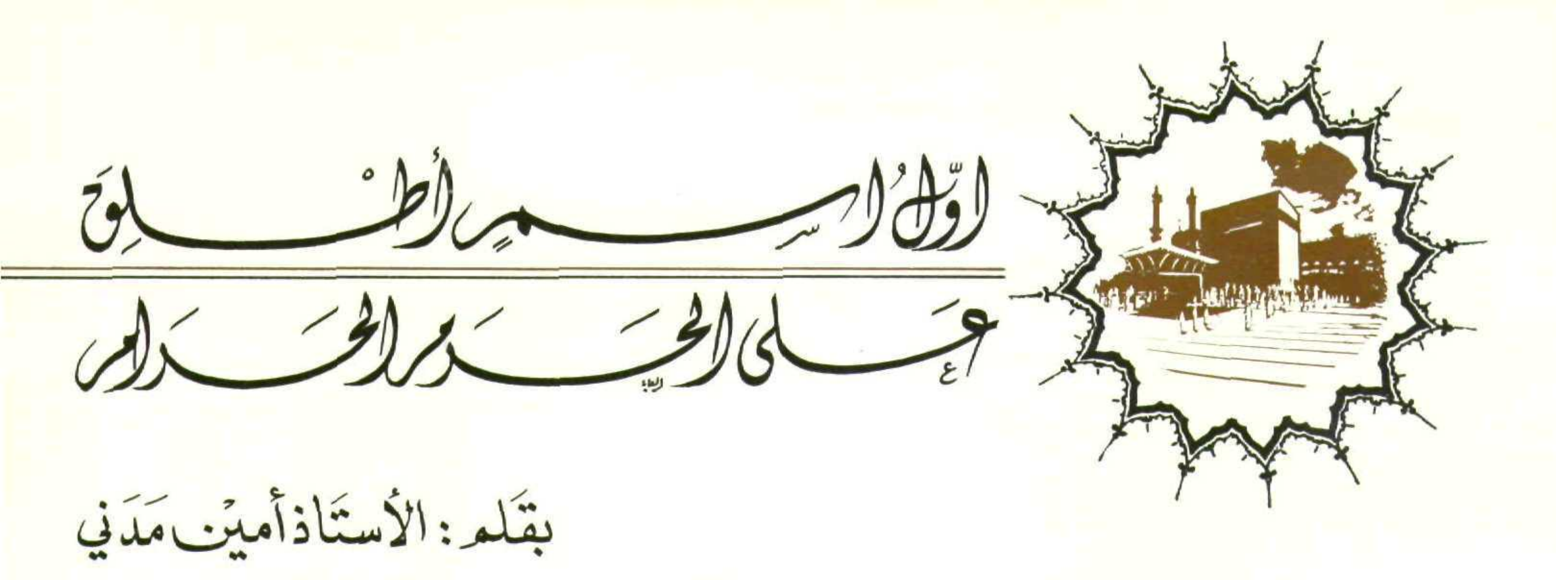
رئيس التحرير : منصور مدني   المحرر المساعد : عوني أبوكشك











أول اسم أطلق على الحرم الحرام

بقلم : الأستاذ أمين مدني

سبق أن كتبت في جريدة البلاد الغراء عدد ٤٣٧٠ في ١٣٩٣/٦/٦هـ كلمة عن أصل اسم مكربا « مكة المكرمة » الوارد في أطلس بطليموس ، واليوم أعود الى الموضوع وأكتب عن أسماء مكة في عصور الجاهلية القديمة . وكنت قبل ذلك قد كتبت عن أسماء « البلد الأمين » قبل الاسلام في الجزء الثالث من كتابي « العرب في أحقاب التاريخ » الذي سيصدر بعنوان : « التاريخ العربي وجغرافيته في العصر الجاهلي » ان شاء الله . والعودة الى ما كتبته سهلة ، ولكن من غير السهل اختصار بحث سار في متاهات الماضي البعيد ليصل الى الأسماء التي أطلقت على « البيت الحرام » قديما .

ومن الذين طرقوا هذه المواضيع التاريخية من المتأخرين : الآلوسي ، والبتنوني ، وجرجي زيدان ، وعبدالوهاب النجار ، ومحمد جميل بيهم ، وجواد علي .

ولقد سبق أن ذكرت في الكلمة السابقة ما كتبته في الجزء الثالث من كتاب «العرب في أحقاب التاريخ» عن « مكربا » وأصل هذا الاسم وتاريخه . وما كتبته عن هذا الاسم (مكربا) لا يعني : أنه أقدم اسم عرفه مؤلف قديم . فلقد كان البيت مثابة للناس وأمنا من قبل أن يولد بطليموس بعشرات القرون — فبطليموس توفي سنة ١٤٠ بعد الميلاد بينما بناء البيت حدث قبل الميلاد بألفي سنة .

وخلاصة ما كتبته في جريدة البلاد هو :

(فمكة — معروفة بحرمها من قبل « ديودورس الصقلي المتوفى سنة ٨٠ق.م » و « سيسلاسي سنة ٥٠ ق.م » بنحو عشرين قرنا — فمما لا شك فيه : أن لمكة أسماء عرفت بها من فجر تاريخها — ومن قبل أن يولد « بطليموس القلوذي المتوفى سنة ١٤٠ب.م» فما هي تلك الأسماء؟ هل منها « مكربا » و « مكة »؟. لقد حاول «جواد علي» أن يفسر اسم « مكربا » فأخذ يبحث عن الأصل الذي اشتق منه — هل هو « سبئي » مشتق من « مكرب » السبئية ؟؟ أم هو « قرشي » أصله « مقربه » أو شيء قريب منه ؟؟ . لأن (مكة) كانت في ذلك الزمن مدينة مقدسة — ولقد أكد « جواد علي » : أن الاخباريين — يقصد : « المؤرخين القدامى » لم يذكروا الاسم الذي ذكره « بطليموس » في الوقت الذي يوضحون فيه الفرق بين : « مكة » و « بكة ». ونحن اذا ما رجعنا الى معاجم اللغة نجدها تقول : « مكث بالمكان — أقام » ونجدها تقول : « الملك » مثل « البك » : الازدحام — وتقول : « مكة » سميت مكة لقلة مائها وذلك : انهم يمكون الماء فيها — أي يستخرجونه . وقيل : سميت مكة لأنها تمك من ظلم فيها وألحد — أي تهلكه . وما جاء في معاجم اللغة عن مكت » و « مكك » يوضح الكثير مما نريد معرفته عن اسم (مكة) .

أما « مكربا » فمكربا كلمة لها أصل في اللغة العربية ، فقد جاء في المعاجم : (« كرب » بمعنى قرب — والكرب بمعنى القرب والملائكة الكريبون — أقرب الملائكة الى حملة العرش — والكرائب الشدائد) . فما جاء في معاجم اللغة عن « كرب » يدل على أن الكلمة تؤدي معنيين : « القرب » و « الشدة »، ومكة مقربة عند الله شديدة بحرها وشديدة على من يظلم فيها ويلحد — فعلى هذا يكون بطليموس القلوذي ذكر « مكة » باسم عربي يؤدي المعاني التي يؤديها الاسم « مكة ») .

فتتمة للبحث ، انشر ما اعرفه عن أسماء مكة ، فأقول : لقد جاء في مؤلف «العرب قبل الاسلام» لجرجي زيدان ص ٢٧٥ : اختلف المؤرخون في أصل اسم « مكة » والأرجح عندنا : أنه « آشوري » أو « بابلي » — لأن « مكا » في البابلية « البيت » وهو الكعبة عند العرب . ويدل ذلك

على قدم هذه المدينة كأنها سميت بذلك من عهد « العمالقة ».
وما جاء في «العرب قبل الاسلام» تحدث به من قبل « البتنوني » في «الرحلة الحجازية »ص ٧٠، ونحن اذا ما قابلنا ما قاله « لبيب » و « جرجي » بما قاله « ابن منظور » في لسان العرب : (مكا الانسان صفر بفيه — وفي التنزيل العزيز : « **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية** » — المكاء الصغير) نجد لهذا الاسم « مكة » أصلا بابليا بمعنى البيت واصلا غير بابلي بمعنى الصغير الذي كان صلاة الوثنيين . فلقد كانت العرب تقول : لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر تصفيرا .. فعلى ذلك أن حرم ابراهيم — عرف باسم مكة منذ اذن ابراهيم في الناس بالحج ، ومنذ استوطن العماليق شعاب قبيس وكداء وان صلاة العرب منذ حرفوا ملة ابراهيم لم تكن الا مكاءا وتصدية .

ويقول (جرجي زيدان) ص ١٨٥ و (محمد جميل بيهم) في «مواكب العروبة» ص ٢٩ أن اليهود والعرب يختلفون في المكان الذي أقام فيه (اسماعيل)، فالتوراة تقول : (ان برية « فاران » أو جبال « فاران ») والاسرائيليون يقولون : ان فاران عند « العقبة » والعرب يقولون ان « مكة » بالحجاز . ويسهل تطبيق الزوايتين متى علمنا : أن جبال مكة أو جبال الحجاز تسمى أيضا .. فاران ولعل (جرجي زيدان) و (بيهم) يقصدان ان « اسماعيل » ولد في « فاران » الفلسطينية ونشأ في « فاران » الحجازية — ويستند (جرجي زيدان) و (بيهم) في قولهما الى (المشترك وضعا) و (معجم البلدان) لياقوت ص ٣٢٧ . و (ياقوت) يقول في (معجم البلدان) ٣٢٣/٦ مؤكدا ما قاله في (المشترك وضعا) : فاران كلمة معربة وهي من أسماء (مكة) ورد ذكرها في التوراة) — قيل : انها اسم لجبال مكة .

ولعل مستند (ياقوت) : ما جاء في (لسان العرب) فلقد نقل عنه (عبد الوهاب النجار) في (قصص الأنبياء) ما هذا نصه : (كما قال في لسان العرب ونص عبارته : وفي الحديث ذكر « فاران » وهو اسم عبراني لجبال مكة ففاران كما يقول (النجار) تطلق على مواضع — منها : جبال مكة — ويؤكد « النجار » : أن « فاران » التي أُنشأ فيها « اسماعيل » هي « مكة بما جاء في التوراة (وسكنوا : يقصد « بني اسماعيل » من « حويلة » الى « آشور » التي امام « مصر ») فحويلة — هي : « خولان » وبلاد خولان في « اليمن » .
على أنني لم أعثر على ما نقله « النجار » من « لسان العرب » ولعل ذلك يرجع الى اهمال « النجار » : رقم المجلد والصحيفة عندما ينقل عن بعض مصادره — و « ابن منظور » يفسر بعض الكلمات في غير المادة التي خصصت لها — فهو فسر كلمة « مكرب » في قول الشاعر :

« **لها رسغ أيـد مكربٌ**
فلا العظم واه ولا العرق فارا »

في مادة « فور » فقال عنها : (المكرب — الممتلىء) فمن تفسيره هذا يظهر أنه اذا كانت الكلمتان : « الملك » و « البك » تدلان على الازدحام — ان كلمة « مكرب » كذلك تدل على الامتلاء ، وبذلك أصبح الاسمان مكة ومكرب مترادفين في أكثر المعاني التي يؤديانها — ومنه يظهر أيضا : ان « ابن منظور » قد يكون ذكر « فاران » في غير مادة « فور » ويظهر بعد ذاك وذا : ان فاران في رأي البعض اسم من أسماء حرم ابراهيم . ومثل « فاران » : « عربه » فلقد شغل الجغرافيون واللغويون بعربة — فقالوا في « لسان العرب » مادة « عرب » وفي « معجم البلدان » : ١٣٨/٦ : ان العرب سموا عربا باسم بلدهم « عربات » وقالوا : عربة — موضع في فلسطين . وقالوا : عربة — من تهامة التي نشأ فيها « أولاد اسماعيل » ويعنون : « مكة » ويستشهدون بشعر نسبوه الى « أبي طالب بن عبد المطلب » :

« **وعَرْبةَ دار لا يحل حرامها**
من الناس الا اللوذعي الحلاحل »

وفي رأي البعض : أن ما ورد في معاجم اللغة ومعجم البلدان عن (عربة) و (فاران) : اجتهاد ليس كله صوابا



وليس كله خطأ – فعربة : النهر الشديد الجري ووادي ابراهيم معروف بأنه اذا سال – سال شديد الجري وعليه ينطبق اسم عربة . وعربة موضع في فلسطين – وفي أرض فلسطين ولد «اسماعيل» وفي وادي ابراهيم نشأ «اسماعيل» وعلى مثل هذا اعتمد الذين قالوا : «فاران» و «عربة» هما من أسماء مكة القديمة . ولقد كانت الشعوب المجاورة للحجاز – في عصور ما قبل الاسلام تطلق عليه وعلى البيت الحرام اسما حسب مفهومها ومعلوماتها عن الحجاز والبيت الحرام . فقدامى المصريين كانوا يسمون الحجاز : «الأرض المقدسة» فيشركون في الاسم مع البت : الحجاز جميعه – وقد يكون «البابليون» على ما يبدو و «اليونانيون» يضيفون الحرم الى الشعوب التي تعيش حوله – فيقولون : هيكل (قيدار) أو حرم (بني اسماعيل) .

ومن الثابت أن (التوراة) كانت تسمي : الحجازيين : تارة بالاسماعيليين ، وتارة بالقيداريين وأخرى بني المشرق – كما كان «اليونانيون» يسمون سكان الجزيرة العربية (ساراسين) وكان «الهنود» يسمون الحرم الحرام مكشيشا» أو «موكشيشانا» يعني بيت الآلهة .

وأكثر أسماء (حرم ابراهيم) اسماء اسلامية – منها ثمانية مأخوذة من القرآن : «مكة» و «بكة» و «أم القرى» و «البلد» و «البلد الأمين» و «البلدة» و «معاد» – وأسماء قرشية – وأعني بقرشية : الأسماء التي كانت معروفة في جاهلية ما قبل الاسلام – مثل : «صلاح» في قول «أبي سفيان بن حرب» :

«أبا مطر هلم الى «صلاح»

فيكفيك الندامى من قريش

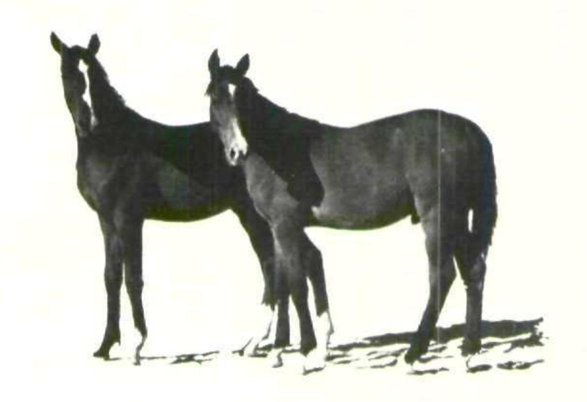
والأسماء المعروفة في عصر قريش والعصور الاسلامية– سميت بها مدينة مكة أما قبل ذلك فكانت أسماء تطلق على «البيت الحرام» وتشمل عامة الحجاز وأسماء تطلق على الحجاز بما فيه البيت الحرام وأسماء تطلق على سكان الحرم فتشمل : الحجاز والبيت الحرام . فكثير من أمم الماضي كانت تضيف اسم «البيت» الى اسم «القبيلة» فيقولون : (معبد قيدار) كما يضاف الى البلاد سكانها فيقال : بلاد طيء . وكما هي الحال الآن فالحرمان اسم يشمل الحجاز ، والعربية السعودية : تشمل «الحرمين» وكل حاضرة في المملكة . ومن المؤرخين المستشرقين من يطلق الجزء على الكل أو الكل على الجزء . ولقد جاء في القرآن الكريم : «**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**» ففي تفسير بعضهم : المصلى يعني : القبلة – وفي تفسير آخر : مقام ابراهيم – من عرفه الى حجر اسماعيل أي الحج كله . وكثير الذين يقولون : مقام ابراهيم مصلاه بجانب البيت . وكل هذه الأسماء التي أشرنا اليها فيما تقدم لم يكن منها اسم اختص به حرم ابراهيم : اقدم من اسم (مكة) البابلي الذي يرجع تاريخه الى عهد العماليق .

ومكة لم تكن مدينة ذات منازل الا من عهد «قصي» الذي بنى أول دار فيها – وهي : (دار الندوة) في القرن الثامن قبل الهجرة. أما قبل ذلك فكان سكان «مكة» ينتجعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها ولعل هـــذا هو الفارق بين (مكة) عامة الحرم و (بكة) البيت في قول بعض المؤرخين والمفسرين .

وتقول غالبية المؤرخين : ان كثيرا من الأمم كانت تحترم (مكة) وتقدسها وتحج اليها–منها : قدامى الفرس ، والنصارى واليهود والهنود . وان بعض هاته الامم شاركوا الوثنيين العرب فوضعوا أصناما في الحرم حتى اجتمع فيه من الأصنام ما لا يقل عن ثلاثمائة وستين صنما – فلا يبعد – والحالة هذه : أن تسمي كل أمة من تلك الأمم : البيت ، والأرض التي حوت البيت والسكان الذين جاوروا البيت : أسماء تخضع لمفهومها ولغتها .

ولكن بحوث الباحثين لم تصل الى اسم أقدم من هذا الاسم (مكة) كما سبقت الاشارة الى ذلك على ما أعلم ■

أمين مدني – المدينة المنورة



الخيول العربية

ارتبط اسم الخيل بالجزيرة العربية منذ سالف العصور. ولا تزال الخيول الأصيلة تنسب الى هذه الجزيرة، فيكفي أن يقال عن فرس إنه عربي ليدل ذلك على أصالته وعراقة نسبه.

لا تذكر المصادر تاريخ نشوء الخيل على وجه الدقة ، الا أن الحفريات الحديثة أرجحت وجودها الى بضع آلاف من السنين . وهناك أقوال وأساطير عديدة عن تاريخ الخيل ونشأتها وأصلها ، منها ما يذكر بأن الله عز وجل خلق الخيل قبل أن يخلق آدم عليه السلام ، ومنها الاعتقاد السائد بين أهل البادية ، بأن الله خلق الخيل من الريح كما خلق آدم من التراب . ومنها ما قيل بأن أول من ركب الخيل واتخذها ، اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وأن اسماعيل أول من تكلم العربية الحنيفية ، وانه لما شب أعطاه الله قوسا فكان لا يرمي به شيئا الا أصابه ، ولما بلغ أخرج الله له مائة فرس من البحر ، فأقامت ترعى بمكة ثم أصبحت على بابه فرسنها وركبها . وقيل أيضا أن الله أخرج لداوود ، عليه السلام ، مائة فرس من البحر ذات أجنحة .

ومهما تعددت الأقوال عن أصل الخيل فانها تؤكد نشأتها في الجزيرة العربية ، وأن العرب كانت ترتبط الخيل في الجاهلية والاسلام ، وذلك اعترافا بفضلها وما جعل الله تعالى فيها من العز ، وكانت تخصها بأحسن ما لديها وتكرمها وتؤثرها على الأهل والولد ، وتفتخر بذلك في أشعارها التي احتلت فيه الخيل أعلى المراتب . ومن بين الذين اشتهروا بحبهم للخيل ، نبي الله داوود ، عليه



السلام ، فقد كان يحب الخيل حبا شديدا ، ولم يكن يسمع بفرس يذكر بعرق أو عتق أو حسن جري الا بعث اليه حتى جمع ألف فرس ، يقال أنه لم يكن في الأرض يومئذ أفضل منها . ومما يروى عن نسب الخيل ، أن أجود الخيول العربية الأصيلة تعود في نسبها الى « زاد الراكب » ، وهو أول فرس أطلق عليه اسم في الجاهلية . ولهذا الاسم قصة طريفة ، تقول أن قوما من « الازد » قدموا على سليمان بن داوود ، وبعد أن أكرمهم وقضى لهم حاجتهم سألوه زادا يبلغهم الى بلادهم فأعطاهم فرسا من خيله وقال هذا زادكم فاذا نزلتم فاحملوا عليه رجلا وأعطوه مطردا وأوروا ناركم فانكم لن تفعلوا ذلك حتى يأتيكم بالصيد . فجعل القوم لا ينزلون منزلا الا حملوا على فرسهم رجلا وأعطوه مطردا ، واحتطبوا وأوروا نارهم ، فلا يلبث أن يأتيهم بصيد يزيد عن حاجتهم . ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم « زاد الراكب » ، وذاع صيته بين قبائل العرب ، ومنه نتجت أجود الخيل الأصيلة كالهجيس ، والديناري ، وأعوج ، وذي العقال . وهكذا تناسلت تلك الخيول العربية الأصيلة وانتشرت ، واشتهر منها خيل منسوبة الآباء والأمهات ، ومنذ ذلك التاريخ والعرب يحافظون على اصالة نسب خيولهم ويفاخرون بها مفاخرتهم بشعرائهم وفرسانهم .


مكر مفر مقبل مدبر ... حصان لا تعوقه الحواجز ..

ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها وتكرمه ، صيانتها الخيل واكرامها لها ، لما كان لها فيها من أسباب العز والمنعة والقوة ، حتى أن كان الرجل العربي ليبيت طاويا ويشبع فرسه ، وكان العرب يعيّر بعضهم بعضا باذالة الخيل وهذالها وسوء رعايتها ويذكرون ذلك في أشعارهم وقصائدهم . وظل حب العرب للخيل متأصلا في قلوبهم من الجاهلية حتى جاء الاسلام وبعث الله نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، فأمره باتخاذ الخيل وارتباطها كما جاء في كتابه الكريم **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »** فاتخذها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحض المسلمين على ارتباطها ، وكان من أرغب الناس فيها ، وأصونهم لها وأشدهم اكراما وحبا وعجبا بها حتى أنه كان ليتسار بصهيل الخيل ويمسح وجه فرسه بثوبه . وأول فرس ملكه الرسول كان اسمه « السكب » وقد ابتاعه من رجل من بني فزاره . وبعد ظهور الاسلام ازداد اهتمام العرب بالخيل فكان لها أعلى المراتب في نفوسهم وخاصة في نفوس المجاهدين منهم . وكان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يحض المسلمين على اتخاذ الخيل وارتباطها والعناية بها في أحاديثه الشريفة التي خص الخيل فيها دون سواها . ومن هذه الأحاديث قوله ، صلى الله عليه وسلم :

- **« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » .**
- **« من همّ أن يرتبط فرساً في سبيل الله بنية صادقة أعطي أجر شهيد » .**
- **« ما من مسلم الا حق عليه أن يرتبط فرسا اذا طاق ذلك » .**

وهناك أمثال عربية تحض أيضا على ارتباط الخيل وتحث على العناية بها وتبين أن أحب شيء الى قلب العربي هو امتلاك الخيل وتربيتها والقيام على خدمتها بنفسه . ومن هذه الأمثال قولهم :

- أشرف الأموال فرس يتبعها فرس في بطنها فرس .
- ثلاثة أمور لا يخجل منها الانسان : خدمته في بيته ، وخدمته لضيفه ، وخدمته لفرسه .

وقد أجاد عدد كبير من مشاهير الشعراء في الجاهلية والاسلام في وصف الخيل وتكريمها وتعديد مناقبها ومحاسنها وخفتها وسرعة جريها ووفائها ، ومن ذلك ما قاله أحد شعراء بني عامر في تكريم الخيل وصيانتها ورعايتها :

بني عامر مالي أرى الخيل أصبحت
بطانا وبعض الضمر للخيل أفضل
اهينوا لها ما تكرمون وباشروا
صيانتها والصون للخيل أجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه
وكل امرىء من قومه حيث ينزل

ومما قاله خالد بن جعفر بن كلاب في اتخاذ الخيل وصيانتها واثرتها قوله :

أريغوني اراغتكم فاني
وحذفة(١) كالشجي تحت الوريد
اسويها بنفسي أو بجزء
والحفها ردائي في الجليد
أمرت الراعيين ليوثراها
لها لبن الخلية والصعود

وأما مالك بن بويره أخو بني يربوع فاننا نلمس من شعره أنه كان يوثر فرسه على الأهل والولد في قوله :

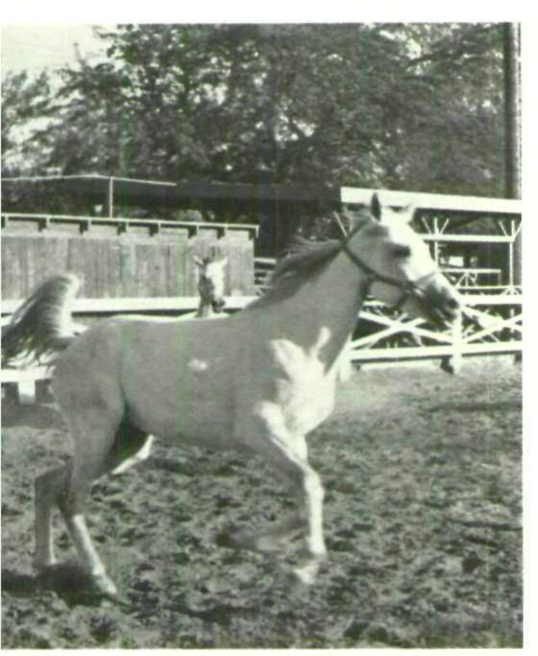
اذا ضيع الانذال في المحل خيلهم
فلم يركبوا حتى تهيج المصائف
كفاني دوائي ذا الحمار وصنعتي
على حين لا يقوى على الخيل عالف
أعلل أهلي عن قليل متاعهم
واسقيه محض الشول والحي هاتف

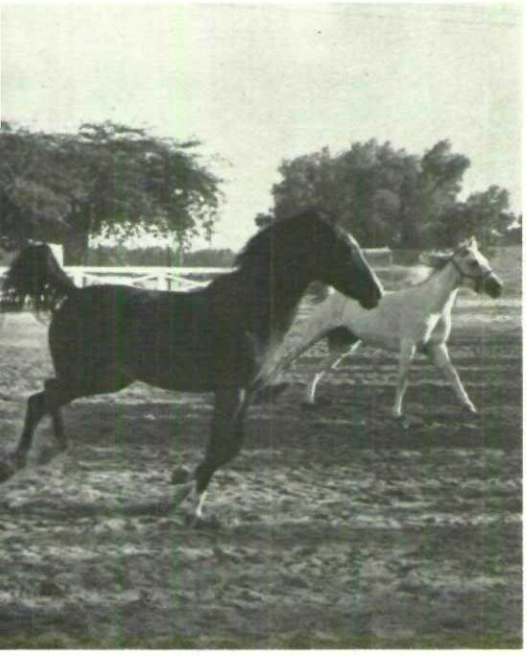
ومما قيل في الاسلام من الشعر في اتخاذ الخيل لما فيها من الأجر والقوة على العدو ، قول كعب بن مالك :

ونعد للأعداء كل محصّن
ورْدٍ ومحجول القوائم أبلق
أمر المليك بربطها لعدوه
في الحرب ان الله خير موفق
فتكون غيظا للعدو وحائطا
للدار ان دلفت خيول المرّق

وفي اتخاذ الخيل وارتباطها كما أمر الله تعالى قال مكحول بن عبد الله من بني سعد بن زيد مناة ابن تميم :

تلوم على ربط الجياد وحبسها
ووصّى بها الله النبيّ محمدا
ذريني وعُدّي من عيالك شطبة
عنود أو مسمول الجوانح اقودا


الرياضة ضرورة للخيل حتّى تظل رشيقة نشطة .


جوادان عربيان أعياهما الارتباط فأخذا ينطلقان لينشطا .



(١) اسم فرسه .

من هذه الأحاديث الشريفة الآنفة الذكر ، والأمثال العربية ، والأشعار يمكننا أن ندرك مدى حب العربي لفرسه واعتزازه به وتكريمه له فذلك انما يعني عزته ومنعته وتكريمه لنفسه .

وممّا اشتهر به العرب أيضا ، بالاضافة الى حب الخيل وتربيتها والاعتزاز بها ، حفظ أسمائها وانسابها وصفاتها ، فقد حفظ العرب أسماء وصفات عديدة أطلقت على فحول الخيل وجيادها والمعروف والمنسوب منها في الجاهلية والاسلام ، وما شهر باسم أو نسب من ذكورها واناثها . ومن أشهر الخيول العربية : زاد الراكب ، والهجيسي ، والديناري ، وجلوى الكبرى ، وجلوى الصغرى ، وذي الموتة ، والقسامه ، وسوادة ، والفياض ، وقد ولد لها حوالي مائة وسبعة وخمسين جوادا سابقة مشهورة . ومن الجياد المشهورة أيضا : أعوج ، وذو العقال ، وسبل ، والوثيمي ، والصريح ، والعارم ، وذو الريش ، والطيار ، والحرون ، وصهبى . هذا عدا عن خيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد كان له عدد من الخيل المشهورة نذكر منها : السكب ، والمرتجز ، وسبحة ، واللحيف ، ولزار ، والظرب ، والأبلق . وكان لحمزة بن عبد المطلب فرس مشهور يقال له الورد ، وقد قال فيه :

ليس عندي الا سلاح وورد
قارح من بنات ذي العقال
اتقـــي دونه الحروب بنفسي
وهو دوني يغشى صدور القوالي

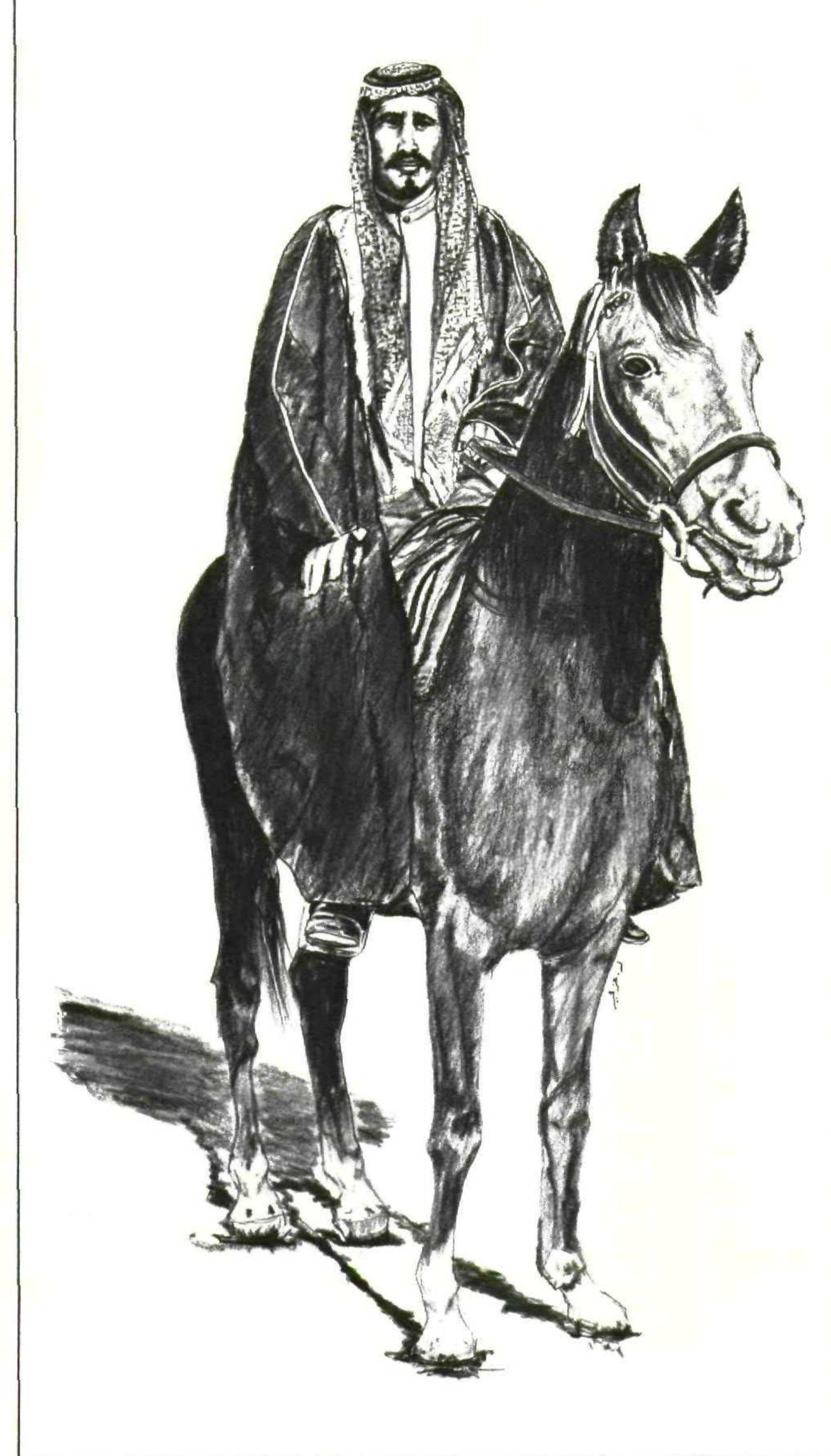
ولا يفوتنا أن نذكر فرس عنترة بن شداد وكان اسمه الأدهم وقد قال فيه :

يدعون عنتر والرماح كأنهـــا
اشطان بئر في لبـــان الأدهم

وكان لعنترة فرس آخر مشهور اسمه الابجر وقد قال فيه :

لا تعجلي أشدد حزام الابجر
اني اذا الموت دنا لم أضجـــر

أما الصفات التي أطلقها العرب على الخيل فنورد منها : الهيكل — وهو الكثيف اللين العظيم ، والطِمِرّ وهو الطويل القوائم الخفيف الوثب ، والتئق وهو النشيط الهيّاج ، والخنذيذ وهو الطويل المختال الصهّال الكثير التلفت ، والجرشُع وهو السابغ الضلوع المجفر ، والوهم وهو العبل الكثيف اللحم ، والطرف وهو الطويل القوائم والعنق والمطرف الاذنين ، واليعبوب وهو البعيد



رعاية الخيـــل والفخــــار بهـا عادة عريقة توارثها العرب عن اجدادهم .

القدر في الجري ، والنهد وهو الكثير اللحم الحسن الجسم ، والشيظم ، والحدَّب ، والسّلهب ، والصلدم ، والسُّرحوب ، والرَّبذ الى غير ذلك من الصفات العديدة الأخرى . وكما عرف العرب صفات الخيل فقد عرفوا عيوبها أيضا . ومن الخيل ذات العيوب : الحرون وهو الذي يحتث فيقوم لا يبرح ، والجموح وهو الشديد الرأس ، والضفون وهو الذي يتلكأ في حضره ، والخنوس وهو الذي يستتب في حضره بأخذ ذات اليمين أو ذات الشمال ، ثم المشتق ، الروّاغ ، والطموح ، والمعتزم ، والشموس ، والشبوب ، والعاجر ، والغرب .. وغير ذلك .

وكذلك اشتهر العرب بمعرفة ألوان الخيل وعيوبها وأصواتها . ومن الألوان المشهورة لدى العرب : الأدهم ، والأخضر ، والأحوى ، والكميت ، والأشقر ، والأصفر ، والأشهب ، والأبرش ، والاشيم . وأما الأصوات المختلفة التي تصدر عن الخيل فتعرف لدى العرب بالحمحمة ، والصيء ، والوهوهة ، والنهم ، والضباح ، والصهيل . أما بالنسبة لمعرفة صفات الجياد الأصيلة فقد قيل أن « معاوية » سأل « صعصعة بن صومان» عن أفضل الجياد فأجابه : الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، العريض الثلاث ، والصافي الثلاث ، أما الطويل الثلاث فالاذن والحزام والعنق ، وأما القصير الثلاث فالصلب والعسيب والقضيب ، وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك ، وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والحافر .

كما قيل في الجواد ، الأصيل ، اذا اشتد نفسه ، ورحب متنفسه ، وطال عنقه ، واشتد حقوه ، وانهر شدقه ، وعظم فخذاه ومصوصه ، وصلب حافره ، الحق بجياد الخيل .

ويختلف الجواد العربي عن غيره من الجياد بصغر حجمه نسبيا ، فعلوه عن الأرض لا يزيد على ٦٠ بوصة ، ويمتاز بجمال منظره ، وذكائه ووفائه ، ويتجلى هذا الوفاء في اصطباره على المكاره ، وعدم مفارقته لصاحبه اذا سقط جريحا ، ودفع الأذى عنه ، وتحذيره له عند أدنى اشارة خطر .

وعلى ذكر وفاء الجواد العربي لصاحبه يروى أن رجلا كانت له فرس أصيلة يحبها كثيرا ويطعمها بيده ويوليها عناية فائقة ولا يدع أحدا يمتطيها سواه ، فلما توفي هذا

مجموعة من الجياد العربية في أحد الاستعراضات الرياضية التي تقيمها جمعية الخيول العربية بالظهران من وقت الى آخر .





ثلاثة من الجياد العربية التي اشتركت في سباقٍ للخيل أقيم على ميدان نادي الفروسية في الرياض ..

الرجل كانت تسير خلف نعشه بين المشيعين حزينة دامعة العينين . وبعد أن واروه الثرى في مثواه الأخير وعادوا بها الى البيت امتنعت عن الأكل والشرب ومـــا لبثت أن ماتت حزنا عليه .

لذلك كان العرب يولون الخيل اهتماما شديدا منذ أيام الجاهلية ، فكانوا يدخلونها خيامهم لتبيت معهم في الليالي الماطرة وكذلك عندما يشتد برد الصحراء ، كما كانوا يفرحون لولادة للمهرة بوجه خاص ويحزنون لموتها . وتمتد فترة الاخصاب عند الفرس الى الخامسة عشرة ، وبعضها ينجب في الخامسة والعشرين ، وهي تعمر فتبلغ الثلاثين وتتجاوزها أحيانا .

وأما مدة الحمل لدى الفرس فهي أحد عشر شهرا ، فاذا زادت قيل أنها جرّت ، وكلما جرّت كان أقوى لوليدها ، وأكثر ما تجر الفرس خمس عشرة ليلة . وتسمي العرب الوليد اذا كان ضعيفا المطفرش . فاذا اشتد واستن سمي شادنا ، او انه قد شدن . وتنبت ثناياه بعد خمسة أيام ، وتنبت رباعيته بعد شهرين ، وينبت قارحه فيما بين ثمانية أشهر الى تسعة ، ولا يطلق عليه اسم الفلو حتى يفتلى من أمه ، ويظل فلوا حتى يحول عليه الحول فيسمى حولي ، وحين يتجاذع يدعى جذعا ويظل كذلك الى أن يحفر فيدعى محفرا وبعدها يبدىء ، وابداؤه يقع فيما بين ثلاثين الى ستة وثلاثين شهرا وهي مدة خروج ثنيته ، فاذا خرجت فهو ثني ، ولا يزال ثنيا حتى يحفر للارباع ، فاذا سقطت رباعيته فهو رباع ، وبين ابداء ثنيته الى ابداء رباعيته تسعة أشهر الى الحول . والمهرة تصبح فرسا في الخامسة ، والفلو أو المهر يصبح حصانا في السادسة . واذا ذهب حصره وانقطعت مراهنته دعي المذكي ، واذا عجز الفرس عن حبس ريقه من الكبر دعي الماج ، فاذا ذهبت قوتـــه وتحاتت أسنـــانه دعي الالطع .

وبما أن العناية بالمهر كانت توكل عند العرب الى النساء أو الأبناء فانه ينشأ على الرقة والطاعة ويصبح ركوبه ممكنا للصغار عندما يبلغ الثانية من العمر ، ولا يحتاج الى ترويض طويل أو شاق عندما يكبر ، وهذه ميزة أخرى يختص بها الجواد العربي الأصيل .



ب الخيل رياضة جميلة تحظى باهتمام الكثير من الناس .



أحد الجياد الفائزة في سباق الخيل الذي يقيمه نادي الفروسية في الرياض من وقت الى آخر .

ولكن التقدم والتطور اللذين طرآ على حياة الشعوب في الشرق الأوسط واندثار عادات الغزو بين القبائل وقيام مشاريع توطين أهل البادية، وتوفر وسائل المواصلات البرية والجوية ووجود المعدات الآلية الضخمة .. كل ذلك كان له أثره الواضح على حياة العربي، وجعله يتحول تلقائيا من الفرس المدللة الوفية، الى الآلة التي أدهشته بقوتها وسرعتها وأعمالها الجبارة التي تعجز عن ادائها عشرات من أقوى الجياد. وبسبب هذا التحول مرت على الخيل العربية فترة من الاهمال، وأخذ عددها يتناقص بتناقص المهتمين بها حتى في موطنها الأصلي، جزيرة العرب. وقد لفت هذا الأمر نظر المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، فأبدى اهتماما خاصا بتجميع أصائل الخيول العربية، وقامت بعد ذلك وزارة الزراعة بانشاء مركزين لتربية الخيول وتنسيلها. وهناك مراكز أخرى عديدة منتشرة في عدد من البلاد العربية، وجميعها تهتم بتربية الخيول العربية الأصيلة، ورعايتها والعناية بها.

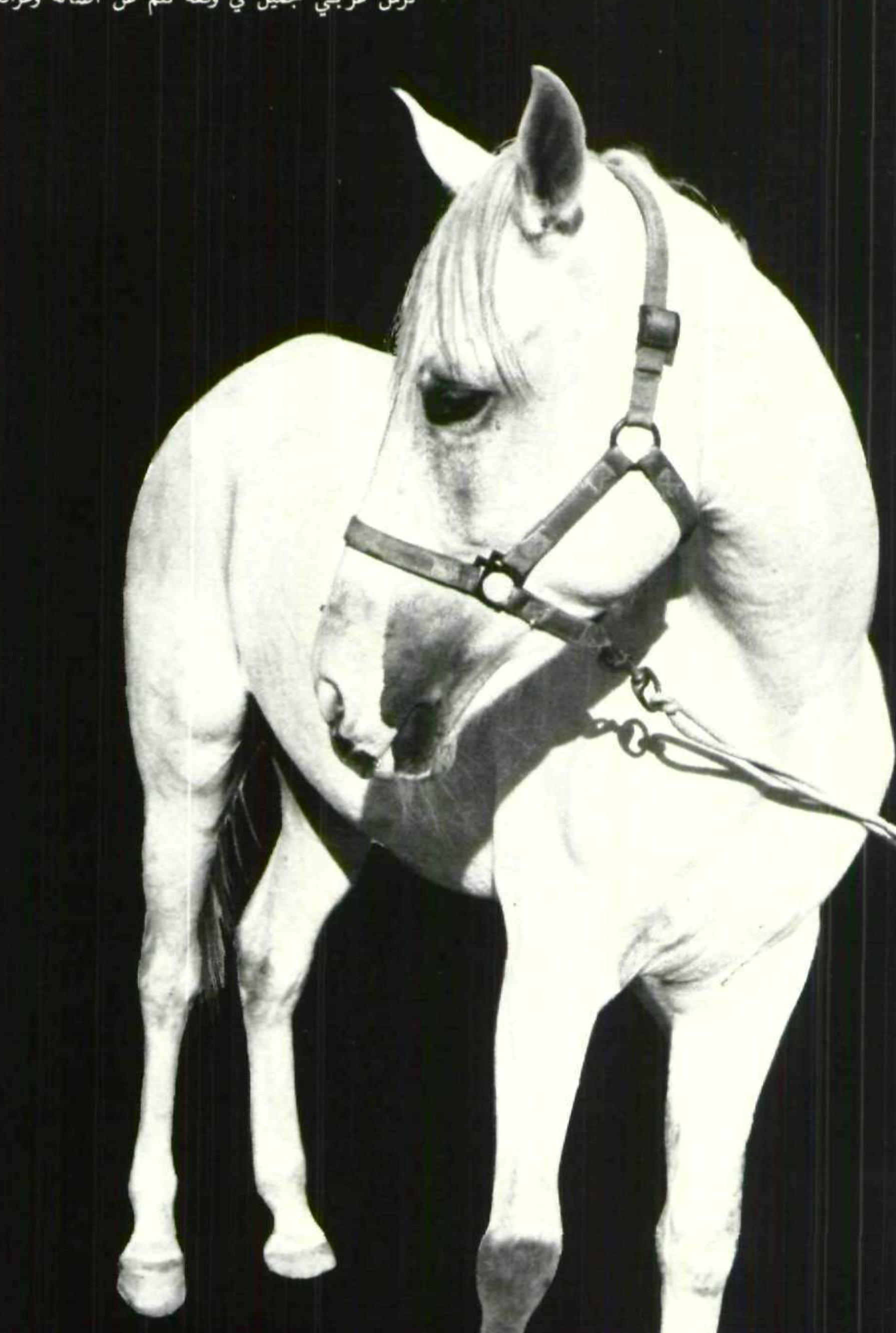
وفي عام ١٣٨٦هـ صدر قرار وزاري باعتماد تأسيس ناد للفروسية في الرياض، يشمل ملاعب لمختلف أنواع الألعاب الرياضية. ويرأس الهيئة الادارية للنادي صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ويساعد الهيئة لجان متفرعة عنها، مثل لجنة السباق والتحكيم، ولجنة التشبية التي تضم خبراء مهمتهم معرفة اصالة الجواد وسلالته، وتحديد سنه ومقر ولادته، وحفظ سجل له بذلك. ويبلغ عدد خيول النادي أكثر من مائتين وأربعين فرسا عربيا، كما يحوى ثمانية اسطبلات، وعيادة بيطرية، ومكاتب للمراقبين، ومراكز تدريب، وفي مدخل النادي يقوم البناء الرئيسي الذي يحوي منصة ضيوف الشرف، ومنصة الحكام وقاعة النادي ومكتب الادارة والمدرج.

هذا ويزمع المسؤولون في حكومة المملكة العربية السعودية انشاء نواد عديدة للخيول العربية تعيد لرياضة العرب مكانتها التاريخية المجيدة، وللخيول العربية عزها ومجدها.

ولئن اختلفت الأهداف والدوافع الى تربية الخيول في هذا العصر عن الزمن الماضي، فان حب العربي لها لم يتغير ولم يتأثر بما طرأ على حياته من تطور حضاري لأن هذا الحب قد توارثه خلف عن سلف ولأنه ناتج عن عقيدة وايمان. وستظل الخيل مصدر خير وراحة ومتعة لكل عربي وسيظل العز فوق صهواتها لا ينافسها فيه منافس. ■

زكريا خليل البنا — هيئة التحرير

تصوير: شركة التصوير الوطنية — الخبر



فرس عربي جميل في وقفة تنم عن اصالة وعراقة ..

المصـــادر:

* «كتاب نسب الخيل في الجاهلية والاسلام» تأليف أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
* «كتاب الخيل» لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.
* The Arabian in Arabia - By Alexis Wrangel.

شراع الذكريات

للشاعر: طاهر زمخشري

يا شراعاً يرفّ بالأمنياتِ   في خضمّ يموجُ بالذكرياتِ
أمسُنا كان ها هُنا يتهادى   بالصبَا في مرابعِ الصّبوات
وخُطى العُمْرِ بين سُودِ الليالي   لمْ يزَلْ وقعُها على الرّبَواتَ
في المَغاني التي سقاها هَوانا   وكساها الجَمالُ بالبَسَماتَ
مِن عذارى بين الخَمائِل تَلْهو   بوُرودٍ صَدّاحة النّسماتِ
والنّسيمُ العَليلُ يَسْترِقُ الخَطْوَ ، بَرْجع مغرّدِ النّفحاتِ
وهو ما زالَ في « السّلامةِ » يَسْري مستسِرّ الخُطى على الشرفات
قدْ ترامى به الوُجومُ على الأيْنِ .. كليلَ الأنْفاس والنّبرات
لم يَعُدْ ينْفُثُ العَبيرَ وما عاد يبث الفتونَ بالشّذراتِ
أخرَسَتْ صوتَه العوادي فأمسى   هينَماتِ الزّمانِ بالموْعِظات
فاذا بالخَريفِ والحَطبِ اليابسِ يعْني كُهولةَ السّنواتِ
في اهابٍ كان الربيعُ به يلهو فأضْحى المُرادَ للعِلاتِ
كان يهْفو الى الجمالِ افتناناً   صار يرتاعُ من صدى الضّحكاتِ

* * *

والهَوى كان يوم كان فتياً   يقطِفُ العُمْر من ربيع الحياة
والمجالاتُ كلّها فِتْنَةٌ يقظَى .. تمدّ الظّلالَ في الرّحَبات
وانتفَضنا نعيدُها ذكْرياتٍ   وصَداها المبحوحُ في العرَصات
تستعيدُ النّداء بين طُلولٍ   ورُسومٍ ، وأربُعٍ دارِسات
وعلى رجْعهِ نُعيد الذي نحفَظُ عن حبّنا على السّروات

طاهر زمخشري — جدة



الميل الى الاستحداث وآثاره على النمو الصناعي

بقلم: الأستاذ محمد مسلم الردادي

إنّ زيادة انتاج أي مشروع صناعي وارتباط ذلك بالبحث العلمي من المسائل المتفق عليها اقتصاديا ، ولكن قلّما يتفق علماء التنمية الاقتصادية على الكيفية التي تسهم في رفع مستوى الانتاج . على أن طبيعة الجدل تكاد تنحصر في تيارين مختلفين للمشكلة ، الأول: الجدل الفكري حول استراتيجية التنمية الاقتصادية ، ومجاله يتجسد في نظريات التنمية الاقتصادية وذلك خارج عن غرض هذه المقاله . أما الثاني فهو ليس تطبيقيا محضا ولا نظرية ، ومع هذا فهو أقرب الى التطبيق من الوجهة العملية ، وذلك يلخص في عنصرين ، هما : العنصر الاداري ، والعنصر الفني :

العنصر الاداري : ينظر فريق من العلماء الى أن أسباب فشل أو نجاح المشاريع الفردية الصناعية يكمن في ندرة الاداريين القادرين على فهم المنوال الصحيح لدور الادارة ، سيان كان مصدر الندرة يرجع الى تدهور فعلي في مراحل ومستويات الأداء الاداري مثل سوء فهم مبادىء الادارة ووظائفها وآثار ذلك على جودة التنفيذ ، أو مستمد من عجز الادراك الاداري . (ومن أغراض ذلك القصور النسبي وعدم قدرة الادارة على مواجهة تطورات الأسواق) . ويرى أنصار هذا الرأي أن الحل يكمن في تطوير الوظيفة الادارية ، وكل ذلك يدور حول مقدار السلطة أو جودة القيادة الادارية لانجاز المعضلات الفنية .

العنصر الفني : ان دور رجال الأعمال يحدده توفر الموارد الاقتصادية بمعنى أن حجم المشروع الصناعي يعتمد على عرض المواد الخام ومواقعها من مراكز الأسواق ، وكذلك سهولة الحصول على تلك المواد من الأسواق الخارجية بأسعار معتدلة .

ولكن نجاح المشروع الصناعي الفردي يقترن بالخطوات الايجابية التي يتخذها فيما بعد لتحسين الانتاجية . وقد استبعد معظم الاقتصاديين امكانية أي تطوير أو اختراع في المراحل الانتقالية للمشاريع الصناعية ، لأن خطوات التطوير الصناعي في مراحلها الأولى تخطو نحو عالم مجهول محفوف بمخاطر الخسارة .. واستنتج معظمهم أن الوسيلة المثلى لكل من التطوير والنمو الصناعي هو ما أسموه برأس المال ، وأن قدرة المشروع على النجاح كثيرا ما تعتمد على زيادة رأس المال .

حقا ان هذه الاستنتاجات لا تخلو من عناصر الحقيقة ، ولكن من الصعب تقبلها (ولو نظريا) لأنها ليست بالعناصر الهامة التي يمكن اعتبارها عاملا حاسما لنجاح المشروعات الصناعية ، وأنه حتى اذ انطبق شيء منها على المشروعات الكبيرة الحجم نسبيا فانه لا يمكن تعميمها على المشروعات متوسطة الحجم وصغيرته ، لأن النوعين الأخيرين تتناقص نفقاتهما نسبيا . وعلى كل حال فان المعيار المعقول هو قدرة المشروع على التعرف على الظروف الاقتصادية واجراء الأبحاث الرامية الى تحسين الوضع .

ولكن عندما يتحدث خبراء الاقتصاد عن المخاطرة ، والخسارة ، ومتطلبات المشروع ، فانه يبدو لي أن تداخل عناصر المشكلة يبعدهم عن الاتجاه الصحيح لتحليلها ، لا لتجاهل مسببات المشكلة ،

بل لوجود الافتراض الضمني ، فدراسة المشروع لاقامته على أسس اقتصادية حقيقة ظاهرة ، ولكن كيفية الحفاظ عليه وجودة الاداء في تطويره أمر تكتنفه الشكوك ، وبمعنى أدق فان طبيعة تركيب المشكلة قد نجحت في توجيه مجالات الأبحاث نحو العوامل الجانبية ولم يخصص الى جوهر المشكلة سوى اليسير بالنسبة لما تستحق . فمثلا قلما يشرح الكتاب محددات الأبحاث بشكل مستقل ، اللهم الا عن طريق المنهاج التقليدي الذي يركز على فوائد الأبحاث ومزاياها بدون تحليل العوائق التي تحد من ميل أرباب المشاريع الى التطوير والاستحداث لأسباب ، منها أن مستوى الأبحاث الصناعية في القرن العشرين يبدو له طابع الجدة والامتياز التكنولوجي ، وهي عوامل جميعها تتطلب نفقات تفوق طاقة أصحاب المشاريع الفردية من حيث التكاليف وندرة الخبراء . وسبب آخر هو أنه بتطوير الأبحاث تتغير أهدافها الحقيقية بحيث تشمل مجالات تبدو كما لو كانت غير اقتصادية ، مثال ذلك أبحاث الفضاء ، أبحاث تطوير الأسلحة النووية .. وغير ذلك ولكن هذه الأبحاث جميعها يوحدها هدف واحد ، هو تطوير الصناعة على مستوى قومي وعلى مر الأجيال بحيث ينتج تيارين مختلفين ، أولهما استمرار ما يمكن تسميته « بأبحاث الساعة » وثانيهما أبحاث المستقبل وتوقع ما يحدث من تطورات . وعلى الرغم من أن التيارين يختلفان من حيث الزمن الا أنهما يتفقان من حيث نتائجهما الاقتصادية . وسأقتصر على شرح النوع الأول ، وهو ما يمكن تسميته « بأبحاث الساعة » ويشمل الأبحاث التي تجريها المشروعات الصغيرة لأغراض تجارية .

ان هذا النمط الأخير لا يمكن تحليله بمعزل عما يجري من أبحاث في المشروعات الكبرى لأنه في المجتمع الدولي الذي يفترض فيه أن تؤدي عوامل العرض والطلب أدوارها الطبيعية يتأثر السوق بما يجرى في حقول الأبحاث والانتاج في الدول الأخرى . ولأن نتائج الأبحاث في الصناعات المختلفة تنعكس على عرض المنتجات وأسعارها في الأسواق العالمية . ولكن يمكن القول أن آثار المنافسة على أرباب المشاريع في الدول غير الصناعية محدودة الأثر بسبب سياسة تشجيع الصناعة المحلية والالغاءات الخ ..

إنّ خطورة الأبحاث في الدول الصناعية تكمن في دورها النفسي السلبي لدى رجال الأعمال في الدول النامية لأن طبيعة ادراكهم للصناعات الكبرى لا يشجعهم على المزيد من التجديد أو الأبحاث ، وانما يحد من نشاطهم الفعلي لأن وجود المشروعات الصناعية الكبرى يمثل عملاقا مخيفا لاعتقادهم بأن قدرة المشروعات الكبرى القديمة على الانتاج والمنافسة وصلت الى الحد الذي تنعدم فيه فرص نجاح المشروعات الصناعية الصغيرة ولذلك تتلاشى مجالات قيمة للاستمرار على تنشيط الأبحاث الصناعية ، ان هذا الشبح قد يفقد معناه اذا حللنا طبيعة أبحاث الصناعة في الدول الصناعية .

وعلى الرغم من أن تجسيد هذه الصورة لا يخلو من عناصر الحقيقة بالنسبة للمنجزات الصناعية ورفع مستوى الانتاج على المستوى الدولي ، ولكن هذه النتيجة لا تستبعد وجود مجالات للأبحاث في الدول النامية وذلك لسببين على الأقل :

أولهما : أن هدف الأبحاث الصناعية لأي أمة موجه بالدرجة الأولى الى احتياجاتها المحلية والوطنية ، وهذا ما يجعل مجال البحث يميل الى اتخاذ طبيعة محلية مثل دراسة السوق المحلية من حيث الدخل وتركيب السكان واحتمالات تغير الأذواق التي تخضع لحملات اعلانية مبنية على طابع حضاري خاص .

وثانيهما : ان الأبحاث التي تجرى على نطاق واسع تختلف من حيث الطبيعة والأهداف ، فمثلا طبيعة المنافسة والشكل الذي تتخذه الأبحاث في المشروعات الصناعية الكبيرة يختلف من حيث الاستراتيجية والجواهر ، فمن حيث الاستراتيجية نجد أن المنافسة ترتفع الى المستوى الدولي بغية السيطرة على الأسواق أو الحفاظ عليها أو خلق أسواق جديدة ، في الوقت الذي تنحصر فيه منافسة ونشاط الأبحاث الصناعية الصغيرة على ارضاء أذواق المستهلكين في السوق المحلية أو الوطنية بما في ذلك تشغيل اعداد معينة من الوطنيين . وبعبارة أخرى نجد أن طبيعة ونمط النشاطات الاقتصادية التي تقوم بها المؤسسات الكبيرة أو الصغيرة تتشابه من حيث الشكل الا أنها تختلف من حيث المرامي والجوهر ، فالمشروعات الصناعية الكبيرة تتسع دائرة نشاطها مما يتطلب جهودا وأموالا كبيرة قد ترهقها في المدى الطويل ، بينما تتقلص دائرة النشاط الاقتصادي في المشروعات الصغيرة ومتوسطة الحجم ، ويتجه مجال الأبحاث فيها الى مواطن الضعف الحقيقية ، وعلى أرجح الاحتمالات يتم لها اكتشاف مجالات اقتصادية أفضل مبنية على الاستجابة الى نوعية الطلب الحقيقي الذي من أحد مظاهره التركيب السكاني وما يسفر عنه من تحولات تختلف عن نمط وكثافة الطلب الحالي ... الى غير ذلك .

إنّ النتائج التي يمكن استخراجها من هذه المقارنة واضحة تماما ، وأهمها أن عمر المشروع الصناعي مقاس بنجاحه — رهين بوجود سوق استهلاكية وبتحسين جودة الانتاج والحفاظ على أسعار معقولة تحد من آثار المنافسة الخارجية وتلك أمور عسيرة المنال ولكنها غير مستحيلة ان اتخذت المشروعات الصناعية تخطيطا طويل المدى مبنيا على أبحاث الساعة من قبل أرباب المشاريع أنفسهم . ان مجال الأبحاث في بلادنا مجال خصيب اذا اتجه مساق البحث نحو طبيعة البلاد الاقتصادية وظروف السوق فيها ، فمثلا بحث الحاجة الفعلية لمشروع صناعي من العمال السعوديين يتم بمعزل عن منافسة الآلة للانسان ، في الوقت الذي يتسم به عرض العمل بوفرة نسبية وأجور معقولة تميل الى الاستقرار النسبي وهي ميزة تفتقر اليها المشروعات الصناعية الكبرى التي لا ترتفع أجور العمال فيها فحسب ، بل تفتقر الى الثبات أو حتى التغير التدريجي.

حقا ، أن توفر البيانات الاحصائية التي تؤكد وجود العدد الكافي من الفنيين للنهوض بالمشروع الصناعي من حيث الجودة والكمية غير موجود ، وانما أمر يفترض وجوده من الوجهة النظرية على الأقل لأسباب يأتي في مقدمتها اتساع القاعدة التعليمية في المملكة ، أي أن اتساع مجالات

التعليم وتدفق المتخرجين من مختلف المستويات يؤثر على عرض العمل بشكل فعلي ، لا من حيث عدد المتخرجين على أساس كمي بل على أساس التنويع في مجالات المعرفة .

هذا الوضع يتيح للمشروعات الصناعية الفردية أفضل الفرص للحصول على الأيدي العاملة ، كما أن هذه الأعداد الراغبة في العمل تكون قد حصلت على التعليم والتدريب على حساب الدولة ، وهو يمثل الجزء الأعظم من التكاليف على هذا المورد الاقتصادي الانساني فلم يبق للمشروعات الفردية بعد ذلك الا اليسير من التكاليف ممثلة في التدريب العملي النهائي ، ولكن تكاليف التدريب النهائي تقع على عاتق رجل المشروع الفردي الصناعي، وذلك هو أحد الآفاق المجهولة التي يجب أن يكتشف البحث الصناعي مداها ، فان نتائج تلك الأبحاث (بالاضافة الى خبرة أرباب المشاريع) هي التي ستحدد ما اذا كانت هناك احتمالات في ارتفاع أجور هؤلاء الفنيين (١) أو انخفاضها، وأثار ذلك على قدرة المشروع للمنافسة الفعلية ، أي التطور في اتجاه البحث عن الفنيين من الحقول الوطنية الى المجال الدولي .

لكن هذه النظرة اذا كان يؤيدها البحث الجاري ، فانها تتطلب من رجال المشاريع متابعة ما يجري فعلا في الأسواق العالمية . ان اتساع دائرة البحث تزيد من صعوبتها عدة عوامل ، منها الحواجز الطبيعية ، مثل حواجز اللغة ، والحواجز الاصطناعية المدبرة التي تمليها سرية الصناعة وعدم افشاء نتائج الأبحاث أو حتى « المجالات » التي يصمم البحث لاختبارها ، ناهيك عن تكاليف البحث التي تفوق قدرة رب المشروع الفردي لمعرفة المجالات التي سبق بحثها في دول أخرى . ولكن هذه الصعوبة يمكن حلها بالرجوع الى الاحصائيات ذات الطبيعة العامة ، مثل النشرة الاحصائية لمؤسسة النقد العربي السعودي ونشرات هيئة الأمم المتحدة وهي متوفرة وسهلة المنال ، على الرغم من بعض الصعوبة في مدى ادراكها وتفسير مغزاها التجاري الاقتصادي .

ان معرفة ما يجري عمله من أبحاث أو نتائجها في الأسواق العالمية غير مجْدٍ ما لم يتم التعرف الى طبيعة الميدان العملي في الأسواق المحلية مثل ضرورة التأكد من قدرة السوق المحلية على استيعاب صناعات خفيفة خلال السنوات العديدة القادمة عن طريق التعرف الى اتجاه الطلب الحقيقي المحلي على المنتجات الصناعية من واقع بيانات التجارة الخارجية .

انه من المرجح أن ارتفاع الطلب على المنتجات الصناعية يميل الى الاتجاه مع تطورات الدخل القومي الآخذ في الارتفاع ، ونمو السكان والتغير الديموغرافي الذي يتبدل تدريجيا لسبب نمو واطراد الهجرات من القرى الى المدن .

وحقا ان تغيرات السكان قد تسبب تحولات مفاجئة في نوعية الطلب لكل عشر سنوات تقريبا ، ومـع هذا يظل هـذا القول وغيره من التقديرات مجرد حدس ما لم تؤيده تجارب رجال الأعمال ونتائج أبحاث الساعة . على أن تكاليف مثل هذه الأبحاث تتجه الى الارتفاع على الرغم من توفر معظم المعلومات ذات المغزى التجاري والفني (الصناعي).

والسبب في ذلك أن أي مبلغ يتم صرفه لأبحاث جديدة يستتبع المزيد من الأبحاث (ومعها ارتفاع تكاليف الأبحاث) وذلك لاحتمالات عملية منها أن يتم الانفاق على الأبحاث على أساس تكميلي ، أي أن النفقات المخصصة تتم على مراحل معينة من البحث بحيث يصعب التراجع عن ما أكمل فعلا من البحث أو تكون النتائج التي وصل الباحثون اليها مشجعة ولكنها غير كافية لاقامة أو تغيير استراتيجية المشروع الصناعي . ومهما تكن الأسباب التي ترفع مستوى تكاليف الأبحاث فانها ستظل ضرورة حيوية للنمو الصناعي .

والميزة التي تتمتع بها المشروعات الصناعية في أدوار بناءها هو أن قرارات أرباب المشاريع غالبا ما تمتلك مقومات النجاح الاداري ، والنجاح الاداري هنا ينحصر في العلاقة بين انجاز الأبحاث ونتائجها الاقتصادية ، وهو جانب في غاية التعقيد ، ولكن يمكن تقسيمه وفقا لغرض هذه المقالة بحيث يرتكز على ركيزتين :

- المرونة النسبية لانجاز قرارات الأبحاث .
- زيادة المعدل الحقيقي للانتاج من الوجهة الاقتصادية .

ومن مراجعة هاتين الركيزتين يبرز لنا السؤال التالي :

ما هي العوامل التي تحد من مرونة (٢) المشروع الصناعي ؟

انه لا يمكن الجواب على هذا السؤال بصورة محددة ، لا بسبب كثرة عوامل المشكلة ولكن بسبب تداخلها ، ومع هذا يمكن اختيار ثلاثة قيود أساسية ذات أثر فعال على الحد من مرونة المشروع الصناعي ، هي : القيد المالي ، والقيد الزمني ، والقيد العلمي .

القيد المالي : ان ندرة المبالغ النقدية وقصورها عن سد احتياجات المشروع الصناعي لمن أحد مظاهر المشكلة التقليدية ، ولكن يمكن القول بأن تخفيف هذه المشكلة لا يكمن في زيادة الأرصدة النقدية فحسب ، بل في رفع مستوى الأبحاث التي يجب أن تقدر احتمالات النقص مقدما أو التحوير في مجال الاستثمار . وباختصار فان المهم هو الكيفية التي يستخدم بها أرباب المشاريع استثماراتهم ، وليس حجم الاستثمارات .

القيد الزمني : بما أن الفترة التي تتم بين البدء في البحث والوصول الى نتائج فتوصيات، قد تصل الى مدد طويلة يتعذر خلالها انجاز عمليات الاستثمار ، فان ذلك يعتبر من أحد القيود الفعلية التي قد لا تؤدي الأبحاث الى تخفيفها ، لذا فان تخفيف هذا القيد الزمني يتجسد في اجراء الفحص الفعلي المتواصل ، وهذا هو أحد السبل السليمة لتفادي التكاليف الثقيلة .

القيد العلمي : على ضوء ما سبق سواء اذا نظرنا الى المشكلة من جانب التكاليف الحقيقية أو الزمن ، فان طبيعة المشكلة توحي بنوع وخطوات حلولها ، ألا وهي التركيز على الأبحاث ، ومن ذلك يتضح أن القيد العلمي هو العنصر الأساسي للمشكلة وأن كلا من القيدين السابقين تابـع له . ولكن ما هو القيد العلمي ، وكيف يتكون بشكل يجعل اجراء الأبحاث من قبل رجال المشاريع ليس جزءا من سياستهم الصناعية فحسب ولكن عادة تجارية ؟ ان لفظ « علمي » لا علاقة له بمستوى المعرفة ، وانما أقصد به نمو الادراك التجاري النابع عن طبيعة الأسواق المحلية .

---

(١) لا أقصد بذلك الاتجاه العام للأجور فقط بل المقصود موازنة الأجور المقارنة باعتبار أن كل مشروع فردي يختلف من حيث نوع العمل وما يوافقه من أجر . (٢) المقصود

بيئت ظروف السوق المحلية غالبا ما تحدد طبيعة الشكل أو النمط الذي يمثل هذا الادراك والذي يبدأ بممارسته العملية . ففي بريطانيا كان قيام السوق الصناعية استجابة طبيعية للظروف المحلية للطلب المحلي ، فصناعة الصابون وكافة الصناعات الاستخراجية مثل استخراج الملح والفضة والقصدير .. الخ كانت جميعها نتيجة طبيعية لنمو الطلب المحلي على تلك الصناعات ، بمعنى أن استجابة رجال الصناعة لظروف أسواقهم المحلية تعتبر من حيث النظرية استجابة تلقائية شكلت النمط وكيفت المجرى أو المساق الذي اتخذته الأبحاث . ومع هذا تظل الكيفية التي تتم بها الأبحاث الصناعية في المراحل الأولى خاضعة لعوامل الصدفة أكثر مما تخضع لعوامل المخاطرة النابعة عن الرغبة في مضاعفة الأرباح ورفع مستوى الانتاج لسلعة ما، لأن التوقعات الجدية (وأقصد بذلك التوقعات التي يتلوها عمل فعلي لبحث المشكلة) لرجال الصناعة غالبا ما يسودها التردد بسبب نقص المعرفة عن مستقبل السوق وظروفه ، ومن قبيل التأكيد لا التكرار فان نقص المعرفة يمثل العنصر الأساسي للمشكلة الصناعية لأنه يقود الى فوات بعض الفرص ، والتراجع عن الخطوط الأمامية للمنافسة ، والركود الصناعي .

ونظريا يمكن القول أن علاج بعض هذه المشاكل يتم عن طريق تبني الأبحاث الصناعية الفردية التي قد تؤدي الى النتائج التالية :

أولا – تساهم الأبحاث الصناعية برفع مستوى المعرفة الأساسية التي يحتاج اليها رجال الأعمال في نشاطهم اليومي ، وهذه المعرفة تختلف كلية عن فروع المعرفة ذات الطبيعة النظرية البحتة ، أي أنها المعرفة ذات الحيوية العملية المتجددة .

ثانيا – تنخفض تكاليف الأبحاث في المدى الطويل بسبب الرخص النسبي للمعلومات التجارية .

ثالثا – ان حصول رجال الصناعة على معلومات رخيصة أو منخفضة التكاليف يشجعهم على التأكد من صلاح المشروع أو عدمه .

رابعا – غالبا ما يوحي استمرار المشروع الصناعي بصلاحه من الوجهة التجارية ، ولكن بما أن بناء المشروع وتنفيذه قد يتم وفقا لظروف اقتصادية لماض مختلف ، فانه من المستحسن بل يجب على صاحب المشروع أن يعرف ما اذا كانت تلك الظروف التي بررت قيامه لا تزال قائمة أم أنها ظروف تبدلت بفعل التطورات التي تحدث في الأسواق العالمية والسوق الوطنية . انه من غير المتوقع أن تستمر ظروف الماضي الى الحد الذي يسمح بانتهاج استراتيجية تقليدية ، لأنه ثبت أن ظروف المنافسة تجعل طبيعة السوق لأي سلعة تتغير تغيرا جذريا خلال مدة وجيزة تقدر من ثلاث الى خمس سنوات ، وأنه من المتوقع أن تكون هذه الفترة أخذت بالنقصان بسبب اعتماد الأبحاث الصناعية في مختلف المجالات . فالصناعات ذات المستوى العالي للانتاج لم تصل الى ما وصلت اليه الا ببذل جهود جبارة في مجالات الأبحاث وصرف نفقات هائلة ، فمثلا صرفت الصناعة الأمريكية على التطوير والأبحاث الصناعية مبلغ ١,٣ بليون دولار سنة ١٩٤٥ ، ثم قفز هذا الرقم الى ١٢,٧ بليون دولار سنة ١٩٦٣ ، ولا تزال نفقات الأبحاث آخذة في الارتفاع .

ولكن هل يدل هذا على أن النفقات الفعلية على الأبحاث تقيس ظاهرة الميل الى الاستحداث ؟

يحتمل ، ولكنه ليس من المؤكد ، لأن المعيار الجوهري تحدده العلاقة المتغيرة بين تحسين المعرفة وآثارها على رفع مستوى الانتاج ، ولأن الأرقام التي تمثل ما ينفق فعلا على الأبحاث غير متوفرة ، ولأن نتائج الأبحاث الصناعية تستغرق مقدارا من الوقت قبل أن يكون لنتائجها مساهمة اقتصادية . وعلى الرغم من هذه الصعوبة فان التاريخ الاقتصادي لكل من اليابان وأوروبا والولايات المتحدة يؤكد وجود علاقة سببية بين الأبحاث الصناعية ونتائجها الاقتصادية .

ان نمو الأبحاث الصناعية سواء من حيث حجمها الطبيعي أو مقدار ما تكلفه مقيما بالنقود قد نجم عنه تطورات في مستوى الانتاج الصناعي ، فمثلا بحلول الحرب العالمية الأولى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك ١٠٠ مختبر للأبحاث الصناعية ، فارتفع هذا الرقم الى أكثر من ٥٠٤٠٠ مختبر لنفس الغرض في سنة ١٩٦٦م . ان لارتفاع هذا الرقم أسبابا اقتصادية مباشرة وأسبابا دفاعية ، فالسبب الأول يمكن تفسيره جزئيا في النمو المطرد لنشاط رجال الأعمال في القطاعات الصناعية والتجارية ، أي اتجاه الطلب الوطني نحو التجديد في الانتاج الذي شجع بدون نمو المخترعات بصورة أساسية . أما السبب الثاني فهو يبدو غير ذي طبيعة اقتصادية ولكنه لا يقل أهمية من حيث نتائجه الاقتصادية ، ألا وهو نمو الأبحاث الدفاعية التي ترجع أسبابها الى الأمن القومي ، بما فيها أبحاث الفضاء وآثار ذلك على تنشيط مستوى الأبحاث الصناعية .

حقا ان النوعين الأخيرين من الأبحاث لا يخلو من مخاطر مباشرة على الحياة الاقتصادية عن طريق تأثيرهما على حجم الاستخدام في المدى القصير ،لأن انتهاء هذا النوع من المشاريع أمر مؤكد بعد انتهاء أغراضه، وهذا لا يقذف باعداد من العمال الى السوق الصناعية فحسب ، بل يشمل طبيعة الأبحاث الصناعية ذاتها . ومع هذا فان هذه الآثار تقع في مجالات الأبحاث الصناعية بحيث يصبح من المتوقع حدوثها . ولذلك فهي كسحابة صيف عما قريب تنقشع .

وبعد ، يمكن القول ، بعد أخذ جميع العوامل السالبة والموجبة بعين الاعتبار ، عن تطوير القوة الانتاجية يشترط استمرار وجديّة الأبحاث الصناعية من قبل رجال المشاريع أنفسهم اذا أريد لمشاريعهم أن تقاوم قوى المنافسة الخارجية الحالية وسطوتها المتوقعة ، وأنه ما لم يكن هناك نشاط جدي لتطوير الأبحاث الصناعية (أو حتى تجارة الاستيراد والتصدير) فان خطر المنافسة الدولية لا يهدد بصعوبة اقامة مشاريع صناعية جديدة فحسب ، بل قد يمتد الى المشاريع القائمة ■

محمد مسلم الردادي – جدة

المرونة قدرة رجال المشاريع على تغيير استراتيجية البحث بسهولة وأقل تكلفة ممكنة بما في ذلك تغيير مجال المشروع نفسه مثل التحول من صناعة الصابون الى صناعة النايلون .

من حديث النفس في القرآن الكريم

بقلم: الدكتور أحمد الشرباصي

حينما تتعرض الأمم والشعوب للنكبات تزلزلها وتبلبلها ، يكون من الواجب على أفرادها أن يعودوا الى أنفسهم ، ليتبينوا مواضع اقدامهم ، ومواقع خطواتهم ، لأنهم يكونون حينئذ في أشد الحاجة الى عملية تجديد أو بناء جديد ، حتى تعود نفوسهم لبنات صالحة لاقامة صرح الأمة المشيد .

ولذلك يقول الحق جل جلاله في سورة الرعد « **ان الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم** » . ويقول رسول الله عليه صلوات الله وسلامه : « **عليك بنفسك** » .

ولو رجعنا الى كتاب ربنا « القرآن الكريم » لوجدناه يحدثنا عن خمسة أنواع من النفوس ، فهو يحدثنا عن النفس الامارة بالسوء ، والنفس المسولة للشر ، والنفس الموسوسة بالأثم ، والنفس اللوّامة على التقصير ، والنفس المطمئنة بالرضى واليقين .

والنفس الامارة بالسوء هي التي تدعو صاحبها الى ارتكاب الذنوب والسيئات ، وتحرضه على الانحراف والفجور ، وتدفع به الى مهاوي الضلال والخيال ، لأن كلمة « امّارة » صيغة مبالغة من الأمر ، وفيها يقول التنزيل الحكيم في سورة يوسف « **وما أبرىء نفسي ان النفس لامّارة بالسوء الا ما رحم ربي** » .

ويقول الامام الرازي : « اختلف الحكماء في ماهية النفس الامارة بالسوء . والمحققون قالوا: ان النفس الانسانية شيء واحد ، ولها صفات كثيرة ، فاذا مالت الى العالم الالهي كانت نفسا مطمئنة ، واذا مالت الى الشهوة والغضب كانت امارة بالسوء . وكونها امارة بالسوء يفيد المبالغة ، والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات ، والتذت بها وعشقتها ، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها اليه فذلك لايحصل الا نادرا في حق الواحد فالواحد . وذلك الواحد انما يحصل له ذلك التجرد والانكشاف طول عمره في الأوقات النادرة . فلما كان الغالب هو انجذابها الى العالم الجسداني ، وكان ميلها الى الصعود الى العالم الأعلى نادرا ، لا جرم ان حكم عليها بكونها امارة بالسوء ، وأما النفس الشهوانيـة والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية .

وحدثنا القرآن الكريم عن النفس المسوّلة وهي النفس التي تزيّن القبيح ، فتعرضه في صورة الجميل ، وتسوغ أهواءها بمكر وبراعة ، فترسم الشر وكأنه خير ، وتقيم الدليل بعد الدليل — من وهمها وزعمها — على أن شهواتها معقولة مقبولة . وجاء هذا المعنى من أنه يقال : سولت له نفسه كذا تسويلا : أي زينته وحببته اليه ليفعله . وسوّل فلان لفلان كذا : أي زينه وحببه اليه ليفعله .

وفي هذه النفس يقول القرآن المجيد في سورة يوسف « **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون** » أي زينت لكم أنفسكم أمرا من التسويل وهو تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه ، وكأنه أمنية للنفس تطلبها فيزينها الشيطان لها . ويقول أيضا في سورة يوسف « **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم** » . ويقول في سورة طه « **وكذلك سولت لي نفسي** ». ويقول في سورة محمد « **ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد مـا تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم** »

وحدثنا الكتاب المجيد عن النفس الموسوسة ، وهي التي تهمس الى صاحبها بالصوت الخفي الذي لا يكاد يسمع من الأعماق ، لتذكره بخواطر الاثم ومشاعر المنكر ، لأن الوسوسة في الأصل هي الصوت الخفي ، ويقال لحديث النفس : وسوسة ، وهو ما يخطر بالبال ، ويهجس بالضمير ، والوسواس هو الشيطان الذي يوسوس لغيره ولهذا جاء قول الله تعالى في سورة الناس « **قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس** » .

وفي النفس الموسوسة يقول القرآن المجيد في سورة «ق» : « **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد** » . وقد أشار القرآن الى موقف المؤمنين المتقين اذا عرض لهم الشيطان لشيء من وسوسته ، فقال في سورة الاعراف « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف مـن الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » .

ويتحدث « تفسير المنار » عن معنى الآية الكريمة ، فيذكر أن هؤلاء المتقين—وهم خيار المؤمنين—اذا ألمّ بهم طائف من الشيطان ليحملهم بوسوسته على المعصية ، تذكروا أن هذا من عدوهم الشيطان ومن اغوائه . واستعاذوا بالله ، فاذا هم أهل بصيرة.تربأ بأنفسهم أن تطيع الشيطان ، فوسوسته انما تؤثر في الغافلين عن أنفسهم ، الذين لا يحاسبونها على خواطرها ، الغافلين عن ربهم لا يراقبونه في أهوائها وأعمالها ، ولا شيء أقوى على طرد الشيطان وافساد وسوسته من ذكر الله تعالى بالقلب ، ومراقبته في السر والجهر . فذكر الله تعالى بأي نوع من أنواعه يقوي في النفس حبّ الحق ودواعي الخير ويضعف فيها الميل الى الباطل والشر ، حتى لا يكون للشيطان مدخل اليها ، وهو انما يزين لها الباطل والشر بقدر استعدادها لأي نوع منهما ، فان وجد بالغفلة مدخلا الى قلب المؤمن التقي ، يلبث أن يشعر به لأنه غريب عن نفسه لا ومتى شعر ذكر فأبصر ، فخنس الشيطان وابتعد عنه ، وان أصاب منه غرة قبل تذكره تاب من قريب .

ومثل المؤمن المتقي المتجنب لوسوسة الشيطان كمثل المرء الصحيح المزاج ، القوي الجسم ، النظيف الثوب والبدن والمكان ، لا تجد ميكروبات الأمراض المفسدة للصحة استعدادا لافساد مزاجه واصابته بالأمراض ، فهي تظل بعيدة عنه ، فان مسه شيء منها بدخوله في معدته أو دمه ، فتكت بها قوى الصحة والعافية ، فحالت دون فتكها به وهذا ما يسمى في عرف الطب بالمناعة .

وكذلك يكون قوي الروح بالايمان والتقوى، غير مستعد لتأثير وسوسة الشيطان في نفسه، فهو يطوف بها يراقب غفلتها، وعروض بعض الأهواء النفسية لها، من شهوة أو غضب أو داعية حسد أو انتقام، فيقاومها ويدفعها عنها . .

وحدثنا القرآن المجيد عن النفس اللوامة، وأهل اللغة يقولون أن اللوام صيغة مبالغة في الائم، فهو من يشتد في لومه، أو من يكثر اللوم، وهي لوامة، والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها لوما شديدا على ارتكاب الشر، او التقصير في عمل الخير، وربما تكون هي «الضمير» بحسب التعبير المعاصر.

وفي اللوم معنى المؤاخذة والتأنيب، وفي هذه النفس يقول القرآن الكريم في سورة القيامة «**ولا أقسم بالنفس اللوامة**». وقال أهل التفسير انها النفس التي تلوم صاحبها لوما شديدا موصولا على ارتكابه السيء أو تقصيره في العمل الطيب، وتندم على ما فات وتحاسب عليه.

والامام الحسن البصري، رضي الله عنه، يقول: «ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه: ما اردت بكلمتي ما أردت بحديث نفسي؟ وان الفاجر يمضي قدما لا يحاسب نفسه».

فالنفس اللوامة اذن نفس متيقظة حذرة خائفة، تتلفت وتتدبر أمرها، وتسائل ذاتها بين الحين والحين: أين أنا من الطريق؟.

ولقد تحدث «تفسير المنار» عن قوله تعالى: «**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**»، وتعرض لموقف الانسان من ترك المعصية فقال: «ها هنا مرتبتان: احداهما الكف عن المعصية جهادا للنفس، وكبحا لها خوفا من الله تعالى، وهي مرتبة الصالحين الأبرار، ومرتبة الكراهة لها والاشمئزاز منها، حياء من الله ومراقبة له واستغراقا في شهوده، وهي مرتبة الصدّيقين والنبيّين الأخيار، الذين اذا عرضت لهم الشهوة المستلذة بالطبع، بالصورة المحرمة في الشرع، عارضها من وجدان الايمان وتجلي الرحمن، ما تغلب به روحانيتهم الملكية، على طبيعتهم الحيوانية، وهذا مما قد يحصل لمن دون الأنبياء منهم، فكيف بمن يرون برهان ربهم بأعين قلوبهم، وينعكس نوره عن بصائرهم فيلوح لأبصارهم ...

ولهذه المرتبة درجات، منها فقد الشهوة الطبيعية في هذه الحال، أو فقد الشعور بالقدرة على وضعها في الموضع المحرم مع وجودها على أشدها، ولا عجب ... فقوى النفس وانفعالاتها الوجدانية تتنازع فتغلب أقواها أضعفها، حتى أن من الاباحيين والاباحيات من أهل الحرية الطبيعية من يملك في مثل تلك الخلوة منع نفسه أن يبيحها لمن يراوده عنها، لا خوفا من الله ولا حياء منه، لأنه غير مؤمن به أو بعقابه، بل وفاء لزوج أو عشيق عاهد على الاختصاص به فصدقه».

• • •

ثم تأتي النفس المطمئنة ... تأتي في الذروة وعلى القمة، والطمأنينة هي السكون وعدم الانزعاج واليقين بلا ارتياب، والرسوخ بلا اضطراب، لأنها نفس آمنت بالله واعتصمت بحبل الله ولجأت الى حمى الله، ومن كان كذلك فقد استوى على صراط مستقيم «**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب**».

وهذه النفس المطمئنة المؤمنة الموقنة، الراضية بالله، والراضية عن الله، يناديها ربها اكرم نداء، ويدعوها الطف دعاء، ويستقدمها الى أعظم أمل وأحلى رجاء فيقول لها في سورة الفجر «**يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي**».

ومتى يناديها ربها هذا النداء الحلو الجميل النبيل؟

انه يناديها به عند الهول الأكبر، وفي موقف الكرب الأعظم، ومن ثنايا الرعب المزلزل، الذي يصوره صوت الحق جل جلاله بقوله قبل الآيات السابقة «**كلا اذا دكت الأرض دكا دكا، وجاء ربك والملك صفا صفا، وجيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الانسان، وأنّى له الذكرى، يقول يا ليتني قدمت لحياتي، فيومئذ لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد**»

ومن خلال تلك الأهوال الثقال ينبعث ذلك الصوت الالهي الرحيم العظيم. يردد على مسمع النفس الواثقة بربها، المعتزة بدينها، الحريصة على قيمها، الراضية بقدرها «**يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي**»

• • •

هذه خمسة أصناف من النفوس، ذكرها القرآن كتاب الحق ودستور الصدق، وكل صنف منها له طعم وله مذاق، ولا شك أن شر هذه النفوس كلها هي تلك النفس الامارة بالسوء، الداعية الى الضلال، المحرضة لصاحبها على الانحراف والاعتساف، ولا شك أن خير هذه النفوس هي النفس المطمئنة الموقنة الثابتة الراضية.

وبينهما مراحل ومنازل ودرجات، فالانسان الغافل الضال حينما تدركه الرحمة بعد طول شقاء، ينازع نفسه ويقاومها، ليقتلعها من منبت السوء الى منبت الخير قدر طاقته، فهو ينقلها من منزلة الأمر بالسوء — مثلا — الى أخف منها، وهي منزلة التسويل بالشر، ثم يعود فينقلها الى منزلة أخف، وهي منزلة الوسوسة بالأثم، ثم يعود فيزكي هذه النفس، ويوقظ فيها صوت الضمير، فاذا هي نفس لوامة، تفكر وتدبر، وتعتبر فتنزجر، ثم تبلغ القمة، فاذا هي النفس المطمئنة التي لا تزلزلها الأهوال، ولا الشدائد الثقال، بل تأخذ لها مثلها الأعلى من الانسان الكامل الذي ثبت في أحرج المواقف، وهو رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين كان معه أبو بكر في الغار، فذلك حيث يقول القرآن المجيد في سورة التوبة: «**الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا، فانزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم**».

هذه نفوس خمس، نفس امارة بالسوء، ونفس مسولة للشر، ونفس موسوسة بالاثم، ونفس لوامة على التقصير ونفس مطمئنة برضوان الله العلي القدير، فليت كل واحد منا يسأل ذاته: أين نفسي بين تلك النفوس؟ وفي أي طريق تسير أ؟.. أهي في المقدمة أم في المؤخرة؟ أهي تعلو ام تسفل؟ أهي صالحة للاستقامة أم انها فقدت الأمل والرجاء؟ ...

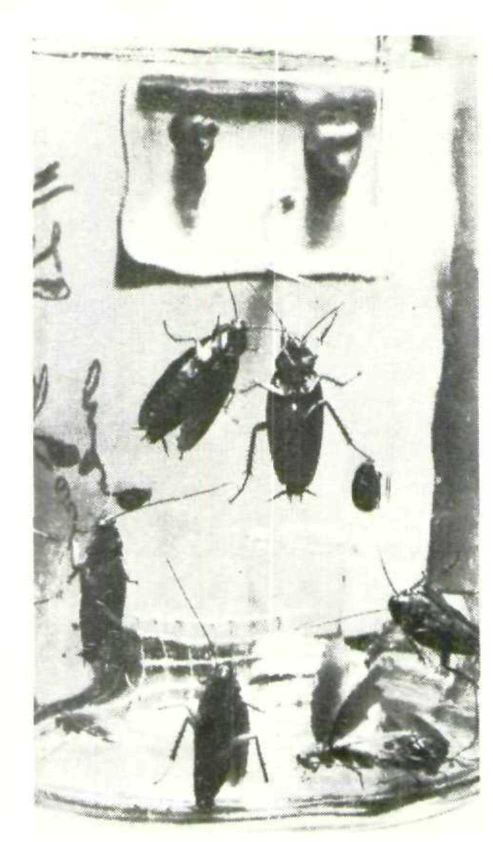
لقد كان رسول الله، عليه الصلاة والسلام، يضرب القدوة في الحرص على اصلاح النفس، فيدعو ربه قائلا: «**اللهم اجعل في نفسي نورا**». ويستعيذ بالله من انحراف النفس، فيقول: «**اللهم انا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**». ويقول: «**اللهم اني أعوذ بك من نفس لا تشبع**»!

فاذا كان هذا هو شأن رحمة الله للعالمين، فما يكون شأن الراتعين في الضلال المبين؟.

«**عليكم أنفسكم**» هذا صوت القرآن، وهذا ميدان جهاد يحتاج الى همة وعزيمة، ولا بد لنا من معركة مع أنفسنا ولنتذكر على الدوام قول ربنا «**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد**» ■

أحمد الشرباصي — القاهرة

التجاوب اللاارادي



تفرز أنثى الصرصار مادة سرعان ما تستجيب لها الذكور وتأتي اليها .

هل انتابك ذات يوم شعور بالارتياح أو بعدمه لدى مجرد رؤيتك لشخص ما قبل أن ينبس بكلمة واحدة ؟ ربما حدث ذلك . فهذا أمر يواجهه معظم الناس دون أن يكون هناك سبب ظاهر يعرفونه .

لعشر سنوات خلت ، كان العلماء يعزون مثل هذا الشعور الى أن رؤية هذا الشخص ربما تكون قد ذكرتك ، لا شعوريا ، بشخص تحبه أو شخص تكرهه منذ زمن . أما اليوم فهناك تفسير آخر يقول بوجود مواد كيماوية تسمى فيرومونات (Pheromones) .

ان هذه الفيرومونات تشكل حلقة حيوية في جهاز الاتصال المرهف ، وتختلف عن باقي وسائل الاتصال التي توفرها لنا حواسنا ، كالشم واللمس وغيرهما . انها جزيئات مركبة تفرزها الحيوانات والحشرات لتفرض سلوكا معينا على مثيلاتها في النوع . وقد لا تعي الحيوانات أو الحشرات الرسالة « الكيماوية » المرسلة اليها الا أنها تستجيب لها تلقائيا . وبعض الحشرات تفرز كميات كبيرة من هذه الفيرومونات لدرجة أن الذبابة المنشارية العذراء ، مثلا ، تفرز ما يكفي لاجتذاب أحد عشر ألف ذكر من ذلك النوع .

ان البحث في المواد الكيماوية كوسائل للاتصال يجري منذ عشرات السنين غير أن النتائج المهمة لم تظهر الا خلال السنوات القليلة الماضية . وكلمة « فيرومون » لم تعرف الا منذ حوالي ١٢ سنة ، وكان يطلق على هذه الافرازات الكيماوية كلمة « اكتوهورمون » . وكلمة « فيرومون » تختلف في معناها عن كلمة « هورمون » . والمعروف عن الهرمون أنه افراز داخلي يؤثر على تركيب الجسد مباشرة ، أما الفيرومون فهو افراز خارجي يؤثر على أفراد النوع ذاته وخاصة على الجنس الآخر منه .

والفيرومونات تحمل أنواعا عديدة من الرسائل الكيماوية التي يتعلق معظمها بحفظ النوع والتزاوج ، وخاصة تلك التي تفرزها اناث الذباب والقراد والصراصير والعث . والمعروف عن الأخيرة أنها لا تطير ، في حين أن الذكر طائر نشيط ويستطيع التعرف الى الفيرومونات التي تفرزها الانثى وهو على مسافة نصف ميل منها.

وفي أنواع أخرى من الحشرات تختلف الأدوار فيفرز كلا الجنسين ، الذكر والانثى ، فيرومونات قوية . فاناث الخنافس تفرز فيرومونات لاجتذاب الذكور ، وكذلك تفعل الأخيرة لاجتذاب الاناث ، بل انها ، أي الذكور ، تزيد على ذلك وتفرز مواد مضادة لتحول دون استجابة ذكور غيرها لفيرومونات الاناث .

والنمل مثلا ، يتخذ له طريقا لا يحيد عنه ، من بيته الى حيث توجد قطعة غذاء بعيدة ، وما دليله في ذلك الدرب الطويل الا ما تفرزه كل نملة من فيرومونات تظل أثرا يهديها الى هدفها . فاذا ما انتهت رحلاتها في ذلك الدرب تلاشى الفيرومون في دقائق قليلة . واذا ما تعرض النمل ، في دربه أو مسكنه الى أذى فانه يفرز مادة لتحذير بقية أفراده لتستعد لمواجهة الخطر وكأنه في حالة طوارىء .

وليرقات النمل رائحة خاصة بها ، وقد قام بعض العلماء باستخلاصها وجعلوها على هيئة سائل سكبوه على قطع مهروسة من كيزان الذرة ثم وضعوها بجانب مسكن النمل ووضعوا بجانبها فتاتا آخر لكنه غير معالج بالمادة . وما هي الا دقائق حتى بدأت العاملات من النمل بنقل الذرات المعالجة ، متجاهلة كليا الذرات غير المعالجة ، ثم مسحتها ونظفتها كما لو كانت

نثرت في أنبوب مختبر بعض من فيرومونات اناث حشرة العث فجاءت الذكور تبحث عنها فاصطيدت .



جمع في هذه المصيدة عدد من حشرات السوس، ويأمل العلماء أن يستفيدوا من الفيرومونات التي تطلقها لاجراء بعض التجارب للتخلص منها .



يرقات تحتضنها لتفقس . ثم انها ، بعد بضع ساعات ، عادت لتخرجها وتلقيها على كومة النفايات بالقرب من مسكنها ، وقد استنتج العلماء من هذه الظاهرة أن حاستي اللمس والبصر لدى النمل لم تعيناه على معرفة يرقاته أو صغاره . اذ كان عمل النمل مقيدا بالفيرومون ، وعندما تلاشت رائحته فقد النمل رغبته فيما جمع ، وعرف خطأه فأخرج الفتات .

أما من حيث دراسة استخدام الحيوانات الثديية للفيرومون، فهذه فكرة ما زالت في مستهلها . وفي دراسة اجراها المعهد الوطني للأبحاث الطبية في لندن على الحيوانات الثديية للغرض نفسه ، ظهر أن الذكور منها تفرز فيرومونات يعرفها ويميزها غيرها من الذكور ، وان القوية منها تفرز فيرومونات أكثر مما تفرزه الذكور الضعيفة . وفي دراسة أخرى أجريت على القرود ظهر أن الذكر منها يكون في حالة استعداد للتزاوج عندما تصبح أنثاه في فترة الاخصاب ، ويحدث ذلك بالافرازات الكيماوية التي تصدر عن الأنثى تلقائيا .

ان الغاية من هذه الدراسات التي تجرى على مختلف الحشرات والحيوانات هي منفعة الانسان . لكن العلماء لم يجدوا ، لغاية الآن ، أثرا لفيرومون يفرزه بنو البشر . وذكر أن عالم أحياء فرنسيا أجرى تجربة في هذا الصدد باستخدام مادة كيماوية تسمى « اكسلتولايد » ، فوجد أن النساء يشعرن بها في حين أن الفتيات الصغيرات والرجال لا يحسون بها .

ان الأبحاث الرامية لمعرفة كيفية عمل الفيرومونات لا تزال دون الكمال ، ويعود ذلك الى سببين : الأول ضرورة عزل مادة الكيمياء النشطة ومعرفة تركيبها ، والثاني ضرورة معرفة طريقة تقبل الطرف الثاني وكيفية تأثير الفيرومون على تصرفاته . وأول خطوة في معرفة السبب الأول هو الحصول على الكمية اللازمة من الفيرومونات لاجراء الدراسة عليها ، وهذه مسألة شاقة جدا. فمثلا ، قام المختصون في معهد للأبحاث الزراعية بقتل نصف مليون حشرة من اناث العث للحصول على ٠,٠٢ من الغرام من تلك المادة لدراستها واجراء التجارب اللازمة عليها . والعمل بهذه الكمية الضئيلة جدا يشكل تحديا لعلماء الكيمياء ، كما أن تحقيق فيرومون جديد يعتبر عملا فنيا رائعا ، مبينا أن بعض الفيرومونات خليط من المركبات الكيماوية النادرة .

ومن الأبحاث التي بدأت تأخذ طابعا عمليا في هذا المجال ، التجارب التي تجرى في بعض الولايات الأمريكية للتخلص من خنفسة القطن التي تتسبب في الحاق خسائر جسيمة بالبلاد تربو على مائة مليون دولار سنويا . ومع أن هناك رغبة ملحة للتخلص من هذه الحشرة الا أن قوانين المحافظة على البيئة وما يعيش فيها من حشرات نافعة تحول دون تحقيق هذه الرغبة . ولذا فقد اتجهت أنظار العلماء الى ابتكار مصائد معينة مزودة بفيرومونات من اناث الخنافس لتجتذب الذكور اليها حيث تلقى مصرعها ولا تتكاثر . ولما كانت هذه الفيرومونات لا تجتذب اليها الا ذكور ذلك النوع المخصصة له فقط ، لذا أصبحت الخشية من القضاء على الحشرات الأخرى والطيور والثدييات غير قائمة .

إن استعمال الفيرومون في المجالات غير الزراعية لا يزال بعيدا ، لكنه ربما يستعمل في معالجة بعض الحالات العقلية ، لا سيما وانه يخفف من حدة التسلط والعداء . ومع أنه لا يمكن البت في مثل هذا القول في الوقت الحاضر الا أن اكتشاف مصادر الفيرومون وتحليل آثاره قد يكون لهما تأثير فعال على حياتنا أكثر مما نتصور ■

إ. أ. ش

الأحماض

وأهميتها في صناعة الزيت

بقلم: المهندس فتحي أحمد يحيى

٢



١

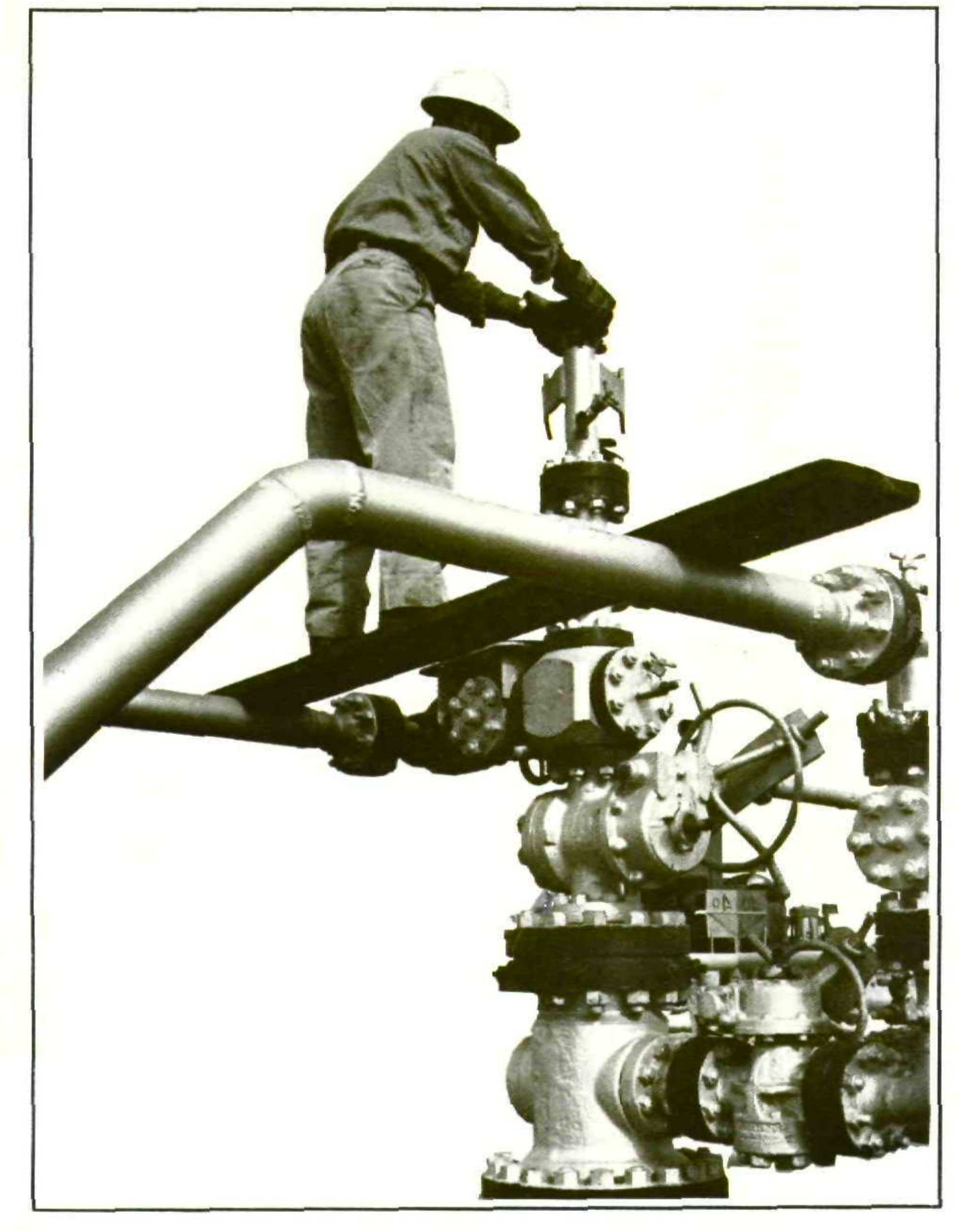


١ – اثنان من وحدة خدمات الحقول أثناء قيامهما بتركيب التوصيلات اللازمة على فوهة بئر حقن الماء في حقل البرى لمعالجتها بالحامض .

٢ – اثنان من وحدة خدمات الحقول بأرامكو يقومان بوصل أنبوب بفوهة بئر لحقن الماء رقم – ٢٠٤ استعدادا لعملية معالجتها بحامض الهيدروكلوريك ..

٣ – مشغل في وحدة خدمات الحقول يفتح الغطاء العلوي لفوهة بئر للزيت بعد فتح صمام التفريغ لاطلاق الغاز المتجمع فوق صمام البئر العلوي .

٣



يدخل في نطاق صناعة الزيت كثير من العمليات الأساسية كالحفر والانتاج ، والمعالجة ، والتصنيع ، والشحن ، والتسويق . ولكل عملية من هذه العمليات جهازها المتكامل كي يتمكن العاملون في هذه الصناعة من القيام بها على أكمل وجه .

وما « الأحماض – Acids » الا مواد كيميائية تستعمل كعامل مساعد له أهميته في هذه الصناعة . وللأحماض وجهان مهمان في هذا المجال ، فهي تستعمل في عمليات المعالجة المختلفة أثناء تصنيع الزيت واستخلاص مشتقاته ، كما تستعمل بكميات كبيرة في تنشيط الانتاج من آبار الزيت« Acid Well Stimulation » . وأهم أنواع الأحماض وأكثرها استعمالا في صناعة الزيت هما : « حامض الكبريتيك – Sulphuric Acid »و «حامض الهيدروكلوريك– Hydrochloric Acid » ، وهناك بعض الأحماض الأخرى ذات الاستعمالات المحدودة .

حامض الكبريتيك واستعمالاته

حامض الكبريتيك عنصر كيميائي نشيط ، ذو استعمالات متعددة ، حيث يدخل في كثير من الصناعات المختلفة كصناعة الأسمدة الكيميائية ، وصناعة الجلود ، وفي عمليات معالجة الزيت وتنقيته من الشوائب ، وفي عمليات الصباغة وغير ذلك .

ومع أن أصل وجود حامض الكبريتيك لم يعرف بعد ، الا أن تاريخ استعماله يرجع الى القرن العاشر الميلادي . فقد قام « فالينتينوس – Valentinus » في القـــرن الخامس عشر

بتحضير الحامض بحرق « ملح البارود — Saltpeter » مع الكبريت . وفي عام ١٧٤٦م أدخل الدكتور « روبيك — Roebuck » من « بيرمنجهام » في انجلترا ، طريقة القاعات الرصاصية في صنع حامض الكبريتيك . كما أدخل « جاي لوساك — Gay-Lussac » تحسينات في صنع الحامض وذلك باستعماله برجا لاستخلاص أكاسيد النيتروجين . وقد اكتشف فيليبس — Phillips » في عام ١٨٣٦م « طريقة التماس — Contact Process » والتي يتم بواسطتها تمرير مزيج من أكاسيد الكبريت على « وسيط كيميائي — Catalyst » مساعد مثل « الفاناديوم » فيتم بذلك امتصاص ثالث أكسيد الكبريت ومن ثمة يتكون حامض الكبريتيك بتركيز عال يتراوح ما بين ٩٨ في المائة و ١٠٠ في المائة . ومن خصائص حامض الكبريتيك أنه قوي «ثنائي القاعدة—Diabasic» كما أنه عامل مؤكسد وخاصة في استعمالاته مع المركبات العضوية . وعمليات الأكسدة أو « ازالة الماء — Dehydration » مهمة جدا في امتصاص الماء الناتج عن عمليات التحول الى «نترات (النيترة) — Nitration » أو التحول الى « كبريتات (الكبرتة) — Sulphuration ».

أما فيما يتعلق بصناعة الزيت فان أهم استعمالات هذا الحامض هي تلك التي تدخل في نطاق عمليات تصنيع الزيت وخصوصا في « الألكلة — Alkylation » ، وهي عملية مهمة لرفع جودة البنزين وتحسين مواصفاته. وأكثر التفاعلات في عملية الألكلة استعمالا في صناعة الزيت هي تفاعل البوتان المتماكب مع أحد الأوليفينات . ويمكن أن تتم الألكلة بالحرارة وحدها ، الا أن ذلك يتطلب الضغط العالي ودرجات الحرارة المرتفعة ، وبالتالي معدات باهظة التكاليف ، ولذلك استحدثت طرق الألكلة بالوسيط الكيميائي ، واستعمل حامض الكبريتيك أو « حامض الهيدروفلوريك — Hydrofloric Acid » كوسيط كيميائي في عمليات المعالجة هذه .

حامض الهيدروكلوريك

مع أن « حامض الهيدروكلوريك — Hydrochloric Acid » يتم انتاجه بكميات أقل من حامض الكبريتيك ، الا أنه يعتبر مادة كيميائية مفيدة ، وخاصة في صناعة الزيت . وفي السنوات الأخيرة طرأ على طرق وأساليب انتاجه تغييرات وتحسينات جمة ساعدت على التوصل الى طرق وعمليات جديدة لصنع هذا الحامض ، من بينها طريقة حرق غاز الكلور في الهيدروجين .

ان كلوريد الهيدروجين (HCl) هو عبارة عن غاز في الأحوال الاعتيادية تحت الضغط ودرجة الحرارة العاديين ، وان ذوبان هذا الغاز في الماء يعطي ما يسمى «بحامض الهيدروكلوريك» ويتم تركيز هذا الحامض للاغراض التجارية بنسبة تتراوح ما بين ٢٧,٩ في المائة و ٣١,٥ في المائة .

أما اكتشاف كلوريد الهيدروجين فقد حدث في القرن الخامس عشر الميلادي على يد «باسيلوس فالينتينوس—Basilius Valentinius» وبدأ انتاج هذا الحامض على نطاق تجاري في بريطانيا عندما تم اصدار قانون منع بمقتضاه « اطلاق — Discharge » كلوريد الهيدروجين في الجو ، مما اضطر منتجو « كربونات الصوديوم اللامائية — Soda Ash » والذين يمارسون استعمال طريقة « لبلانس — Leblanc » الى أن يذيبوا الفائض عن حاجتهم من كلوريد الهيدروجين في الماء ، وبذلك تم الوصول الى طرق مختلفة لاستعمالات هـذا الحامض ، وبالتالي الى بناء المعامل المناسبة لانتاجه .

ويدخل هذا الحامض في صناعة الزيت ، والصناعات الكيميائية ، وصناعة الأطعمة المحفوظة ، وصناعة المعادن . ويقدّر خبراء الصناعة ما تستهلكه آبار الزيت في مجال تنشيط انتاجها بحوالي ٣٠ في المائة الى ٤٠ في المائة من مجموع المبيعات من حامض الهيدروكلوريك.

الطرق المختلفة لصناعة حامض الهيدروكلوريك

يمكن الحصول على حامض الهيدروكلوريك. من أربعة مصادر رئيسية هي :

• كمنتج ثانوي في عمليات « كلورة — Chlorination » الهيدروكربونات العطرية « Aromatic » والهيدروكربونات الدهنيـة — Aliphatic » ، كما يظهر جليا من التفاعل التالي :

ك٦ يد ٦ + كل ٢ ⟵ ك ٦ يد ٥ كل + يد كل

$$C_6H_6 + Cl_2 \rightarrow C_6H_5Cl + HCl$$

• من عمليات تفاعل الملح العادي مع حامض الكبريتيك :

(أ)

ص كل+يد٢ كب أ٤ ⟵ يد كل+ص يد كب أ٤

$$NaCl + H_2SO_4 \rightarrow HCl + NaHSO_4$$

(ب)

ص كل+ص يد كب أ٤ ⟵ يد كل+ص٢ كب أ٤

$$NaCl + NaHSO_4 \rightarrow HCl + Na_2SO_4$$

• من احتراق الكلور والهيدروجين .

• من عمليات طريقة « هارجريفز — Hargreaves » ، والتي تتمثل بالمعادلة الكيميائية التالية :

٤ص كل + ٢ كب أ ٢ + أ ٢ + ٢ يد ٢ أ ⟵ ٢ ص ٢ كب أ ٤ + ٤ يد كل

$$4NaCl + 2SO_2 + O_2 + 2H_2O \rightarrow 2Na\ 2SO_4 + 4HCl$$

وبما هو معروف أن ما يعادل ٧٥ في المائة من انتاج هذا الحامض يمكن الحصول عليه « كمنتجات جانبية —By-products » .

وتجرى عملية انتاج هذا الحامض بالطريقة الثانية المشار اليها آنفا بتسخين وتحميض حامض الكبريتيك والملح في الأفران الخاصة لهذا الغرض ، حيث يتم تكوين كلوريد الهيدروجين وكبريتات الصوديوم . ثم يبرد كلوريد الهيدروجين الساخن والمحتوي على قطرات من حامض الكبريتيك وجزيئات من ملح كبريتات الصوديوم ، وذلك بتمريره خلال مجموعة متعاقبة من أبراج التبريد التي تستعمل الماء من الخارج ، وبعد ذلك يمر الغاز المبرد باتجاه عمودي خلال « برج من الفحم — Coke Tower » وذلك للتخلص من الشوائب والمواد الغريبة . ويتم امتصاص كلوريد الهيدروجين ، النقي والخارج من أعلى البرج ، في الماء ، ويتم سحب كميات حامض الهيدروكلوريك من أسفل « جهاز الامتصاص — Absorber » .

أما الطريقة الصناعية المستخدمة في انتاج كلوريد الهيدروجين فتتطلب حرق الكلور مع نسبة عالية من الهيدروجين . وان بقاء الحامض الناتج يعتمد على مدى نقاء الهيدروجين والكلور . وبما أن هذين الغازين يمكن الحصول عليهما بكثرة وفي حالة نقية جدا كانتاج جانبي من عملية «التحليل الكهربائي— Electrolytic Process» لانتاج « الصودا الكاوية — Caustic Soda » ، فقد أصبح من السهل الحصول على أنقى أنواع كلوريد الهيدروجين من خلال هـذه العملية الصناعية .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال أن عمليات التبريد والامتصاص في هذه الطريقة الصناعية تشبه الى حد كبير العمليات القائمة في عمليات الانتاج بطريقة تفاعل الملح مع حامض الكبريتيك . وبما أن انتاج « كلوريد الميثيل – Methyle Chloride » و « كلوريد الفنيل – Vinyle Chloride » وبعض المركبات المشابهة يحتاج الى كميات كبيرة من كلوريد الهيدروجين الجاف و « الخالي من الماء – Anhydrous » فان عملية انتاج كلوريد الهيدروجين تتم على نطاق عام عن طريق حرق غاز الكلور في حجوم كبيرة من غاز الهيدروجين ، يتلو ذلك امتصاص كلوريد الهيدروجين في الماء .

ان استعمال حامض الهيدروكلوريك يؤدي الى تآكل المعادن ، ولذلك يستلزم استعماله عناية فائقة . وخاصة في منشآت المعامل التي يتم فيها انتاجه . ويخزن هذا الحامض في أوعية وخزانات مغلفة جدرانها الداخلية بطبقة من المطاط لوقاية سطح معادن تلك الأوعية من التآكل .

استعمال حامض الهيدروكلوريك في تنشيط إنتاج الزيت

ان تنشيط انتاج الزيت من مكامنه يعتبر من الأعمال الضرورية والفعالة في حقول الزيت ، وخصوصا بالنسبة للمكامن ذات الصخور الجيرية (الكلسية) والتي تتكون في معظمها من كربونات الكالسيوم أو كربونات الكالسيوم والماغنيسيوم « الدولومايت – Dolomite » .

وتعتبر الأحماض مفيدة جدا في عملية تنشيط انتاج الزيت في الآبار وذلك لرفع قدرتها على زيادة « نفاذية – Permeability » الطبقة الخازنة للزيت حول قاع البئر ، وقد تزيد كذلك من « مسامية – Porosity » الصخور عن طريق اذابة المواد الأساسية للطبقة ، أو اذابة المواد التي تعمل على سد الفراغات والمسامات وخاصة المواد المتراكمة بعد عمليات الحفر واصلاح الآبار .

والمعالجة بالحامض ، هي عبارة عن عملية حقن الآبار بنوع من الحامض المعين في طبقة الصخور الحاملة للزيت ، فيتفاعل معها ويذيب كربونات الحجر الجيري ، وهذا بالتالي يؤدي الى زيادة الانتاج ورفع « مُعامل الانتاج في البئر – Productivity Index » .


مد الأنابيب من صمام البئر العلوي الى احدى مضخات الحقن ، من المراحل الأساسية التي تتطلبها عملية حقن الآبار بالحامض .



١ – واحدة من مراحل عملية معالجة آبار الزيت بالماء والحامض التي أجريت على بئر حقن الماء رقم ٢٠٤ ، التابعة لحقل البرى .

٢ – تتعرض آبار الماء والزيت لسلسلة من الاختبارات والفحوص الدقيقة بغية تنشيطها وصيانتها والمحافظة على مستوى الضغط فيها .

٣ – عدد من موظفي وحدة خدمات الحقول بأرامكو يجرون الاستعدادات اللازمة لعملية معالجة بئر حقن الماء رقم – ٢٠٤ في حقل البرى ، بحامض الهيدروكلوريك .

هذا وتعتبر عملية المعالجة بالحامض أهم عمليات تنشيط انتاج الزيت المتبعة في حقول شركة الزيت العربية الأميركية (أرامكو) حيث أن معظم صخور المكامن في هذه الحقول صخور جيرية كلسية . ويجرى استخدام هذا الحامض بنسب مختلفة من التركيز والمواد الكيميائية المضافة ، وذلك حتى تناسب خصائص صخور المكامن في الحقول المختلفة ، ونوعية الزيت المخزون في هذه الصخور . ويستخدم لهذا الغرض ثلاثة أنواع رئيسية من المواد الكيميائية المضافة ، هي : منظف الآبار من طين الحفر

(Mud-Clean Acid) ، ومستحلب الحامض مع الديزل أو الكيروسين العالي اللزوجة (Viscous Emulsion) ، وأنواع الحامض ذات التأثير البطيء (Chemically Retarded Acid) الذي يتوصل اليه باضافة مواد كيميائية خاصة.

وقبل البدء بعملية تنشيط الانتاج في أي حقل من حقول الزيت الجديدة ، تجرى الفحوصات والتجارب الخاصة على الزيت المنتج من المكمن وكذلك على « العينات الصخرية – Cores » من نفس صخر المكمن ، ثم تقيّم هذه النتائج ، وعلى ضوئها يمكن اختيار نوع الحامض المناسب . ومعادلات التفاعل الكيميائي ما بين الحامض وصخر المكمن هي كما يلي :

• مع كربونات الكالسيوم (الحجر الجيري أو الكلسي – Limestone) .

٢ يد كل + كاك أ٣ ← كا كل ٢ + يد ٢ أ + ك أ٢↑

$$2HCl + CaCO_3 \rightarrow CaCl_2 + H_2O + CO_2\uparrow$$

• مع الحجر الجيري الدولوميتي
Dolomite or Dolomitic Limestone

٤ يد كل + كاما (ك أ ٣) ٢ ←
كا كل ٢ + ما كل ٢ + ٢ يد ٢ أ + ٢ك أ٢↑

$$4HCl + CaMg(CO_3)_2 \rightarrow CaCl_2 + MgCl_2 + 2H_2O + 2CO_2\uparrow$$

ومعروف أن كلوريد الكالسيوم وكلوريد الماغنيسيوم يذوبان في الماء والحامض ومن ثم فان ثاني أكسيد الكربون ينطلق من التفاعل على هيئة غاز .

وتتأثر عملية معالجة الآبار بالحامض بعوامل كثيرة منها : الضغط ودرجات الحرارة داخل الآبار ، ودرجة لزوجة الزيت ، ودرجة تركيز الحامض والمواد المضافة اليه ، وغير ذلك . وطبيعي أن تكون خصائص صخر المكمن من



تعتبر معالجة آبار الزيت والماء بالحامض من العمليات الرئيسية التي تستخدمها أرامكو في المكامن ذات الصخور الجيرية « الكلسية » وذلك للحفاظ على مستوى الضغط فيها وتنشيطها .. وتبدو هنا بعض المضخات الضخمة الخاصة بالحقن ومن ورائها خزانات الحامض .

العوامل الهامة في هذا المجال ، فالحامض يهاجم تلك المواد الكامنة في مسام الصخر ، وتفاعل « الحامض مع الصخر الجيري لا تكون في العادة منتظمة ، وذلك لعدم انتظام توزيع تدفق الحامض خلال مسام الصخر . وعندما يدفع الحامض في الآبار فانه يتدفق بسرعة خلال « القنوات — Channels » المتصل بعضها ببعض . وفي هذه « الممرات — Paths » حيث يتدفق الحامض بسرعة فائقة يكون معدل تركيز الحامض عاليا وكذلك تكون معدلات مهاجمة الحامض لجدران هذه الممرات والقنوات عالية جدا ، وبذلك فان هذه القنوات ذات المسامية العالية هي التي يطرأ أكبر توسيع على حجمها ، وبهذه الطريقة يتم توصيل الممرات والمسامات بعضها ببعض .

ان التأثير العام لمثل هذه الخواص هو أن القنوات الصغيرة والمسامات التي تتوفر لها في الأصل خاصيّة ممتازة « للتوصيل — Conductivity » تصبح أكثر استيعابا لتدفق الحامض الذي يتفاعل مع الصخور في مناطقها ، وبذلك يتم تكوين مسامات أكـبر حجما ، وعليه يتحدد دخول الحامض الى بقية الصخر الـذي يحوي مسامـات صغيرة أو دقيقـة جدا .

ان خواص الحامض بما يكتنفها من المصاعب والمشاكل التي تنتج عن المعالجة بالحامض تتطلب كثيرا من التحسينات والتعديلات التي يجب ادخالها على الحامض ، وذلك باضافة كثير مـن المواد الكيميائية المانعة للتآكل « Inhibitors » ، والمواد التي يقصد منها تمديد فترة التفاعل ما بين الحامض والصخر والتي يطلق عليها « مثبطات التفاعل — Retarders » الى غير ذلك . من المواد الكيميائية .

تصميم عمليّة المُعالجة بالحامض

يقوم المهندسون المختصون ، بوضع البرنامج المفصل لمعالجة احدى الآبار بالحامض ، بعد أن تكون قد أجريت عليها الفحوصات اللازمة قبل المعالجة . وينقل الحامض في خزانات خاصة الى الموقع المطلوب وذلك بعد أن يكون قد مزج بنسب مقررة وأضيفت اليه المواد الكيميائية المساعدة والمواد المانعة للتآكل . كما ينقل الى الموقع كميات من الديزل أو الكيروسين لاستعمالها في «عملية الازاحة—Displacement» بعد الانتهاء من حقن كميات الحامض المقررة ..

وتتم عملية الحقن هذه في داخل البئر بواسطة مضخات ذات ضغط عال حيث يضخ ما بين ٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠ غالون أو أكثر .

ويعتمد مقدار كمية الحامض التي يجرى حقنها في البئر على سمك الطبقة الخازنة للزيت والخواص الطبيعية للصخر ، وسعة البئر وغير ذلك من الأمور الواجب معرفتها قبيل التصميم لأي عملية من هذا القبيل . وقد تتم عملية الحقن بالحامض في مرحلة واحدة ، أو على « مراحل متعددة — Multi stages » ، وفي نهاية كل مرحلة يتم ضخ الكيروسين أو الديزل ليدفع الحامض المتبقي في البئر داخل الطبقة الخازنة للزيت وليحل محله داخل البئر ، وبذلك تكون كمية الحامض المحقونة داخل البئر قد نقلت من السطح الى مسامات وفتحات الصخور في التركيب الجيولوجي ، وبذلك ينشط الانتاج من البئر ، حيث أن الحامض يتفاعل مع الصخر الجيري حول قعر البئر ، فيزيد النفاذية ويرفع معامل الانتاج .

وهكذا يتضح أن تنشيط الانتاج من آبار الزيت عملية مفيدة اقتصاديا لأنها تؤدي الى زيادة الانتاج بنسبة تتراوح بين ٢٠ في المائة و ١٠٠ في المائة من « معدلات الانتاج — Production rates » الأولية قبل المعالجة ، وبالتالي تقل الحاجة الى حفر آبار جديدة كثيرة في حقل من الحقول للتعويض عـن النقص في الانتاج ■

فتحي أحمد يحيى — الظهران

عدد من الصهاريج الملآى بحامض الهيدروكلوريك وقد جلبت الى موقع البئر رقم — ٢٠٤ التي تقرر معالجتها بالحامض ..

تصوير : شيخ أمين

القطار الطائر

أصبح التنقّل بوسائل النقل الاعتياديّة بين مدينة وأخرى من البلدان المتقدّمة المكتظّة بالسّكان، من الأمور الرّوتينيّة المملّة لدى فئات عديدة من النّاس. وقد اجتهد الخبراء في وضع دراسات مستفيضة لتوفير وسائل أخرى بديلة يستطيعون بها التغلّب على هذه الرّتابة، وقد نجحوا بالفعل، في ذلك في بعض الحالات، والأقطار.

ففي السهول الخضراء المترامية ، بالقرب من « أورليانز » في فرنسا ، يمتد شريط أبيض من الاسمنت المسلح مسافة اثني عشر ميلا . وفجأة تبدو ، في أقصى الأفق ، بقعة تلمع في ضوء النهار لا يكاد المرء يتبينها حتى تمر أمام ناظريه وكأنها البرق الخاطف ، وماهي في الواقع غير احدى وسائل النقل الحديثة ، نصفها يشبه القطار والنصف الآخر يشبه الطائرة ، وتمضي تسابق الريح براكبيها بسرعة تتجاوز ٢٥٠ كيلومترا في الساعة .

ان هذا القطار الطائر الذي ينزلق على الهواء بمحركات طوربينية ، ليعتبر من أحدث وسائل نقل الركاب بأعداد كبيرة في الوقت الحاضر . ولعل السبب في ابتكاره وتطويره يعود الى الحاجة الملحة لتخفيف الضغط عن الطرق البرية المزدحمة ، والخطوط الجوية العالية التكاليف وخطوط السكك الحديدية التي بدأت تتعثر في موازناتها المالية .

ان التحديات التي تواجه وسائل نقل الناس بأعداد كبيرة بين مدينة وأخرى ستكون ذات

بَدِيلٌ للسَّيَّاراتِ وَالقِطَاراتِ وَمُنَافِسٌ لِلطَّائِرَاتِ



محطة فرعية في « نيوهافن » يتوقف فيها القطار الطوربيني فينزل بعض الركاب منه أو يصعدون اليه .

أهمية بالغة خلال العقدين القادمين . فالطرق البرية الرئيسية والخطوط الجوية التي تقل مسافاتها عن ٤٠٠ كيلومتر ، أصبحت مكتظة بالركاب في البلدان المتقدمة صناعيا . وأكثر ما تكون المواصلات ذات أهمية خاصة عندما تكون بين مدينتين رئيسيتين تفصل بينهما بضع مئات من الكيلومترات . فالنمو العمراني يزداد ويزدهر بين كل مدينتين ، وأمثال هذه المدن الكبيرة التي تعتبر بمثابة حواضر للاقاليم ، موجودة في كثير من أقطار العالم . ويُجمع خبراء النقل والمواصلات على أن أفضل وسيلة لحل هذه المشكلة هي استخدام القطارات العادية المتطورة ، والقطارات المستحدثة كهذا الذي أسموه بالقطار الطائر «Aero train»، وتبلغ سرعته نحو ٢٤٠ كيلومترا في الساعة . ويقول الخبراء أن هذا النوع من القطارات الذي ستصبح سرعته نحو ٤٠٠ كيلومتر في الساعة قد ينافس الطائرات النفاثة التي تتراوح سرعتها بين ٧٢٠ و ٨٠٠ كيلومتر والتي تنقل الركاب عبر مسافات تقل عن ٥٠٠ كيلومتر، وقد يتفوق عليهـا بنحو نصف ساعة في الرحلة على أساس التنقل بين مدينة وأخرى ، وعلى افتراض أن المسافر بالطائرة يحتاج الى نحو ساعة من الزمن في ذهابه الى مطار الاقلاع وايابه من مطار الوصول . فالسرعة ، وراحة المسافر، وخفض تكاليف الانشاء والتشغيل، كل هذه العوامل مجتمعة قد شحذت الرغبة في تبني فكرة القطار الطائر . وقد قامت المانيا واليابان بابتكار وسائل مشابهة ، كما بدأت بريطانيا مؤخرا بتجربة «القطار الحوام — "Tracked Air Cushion Vehicle" وينتظر أن تُقدِم الولايات المتحدة الأمريكية على ابتكار وسيلة أخرى مماثلة في المستقبل القريب .

والقطار الطائر الذي نحن بصدد الحديث عنه ، يشبه في تصميمه الخارجي والداخلي طائرة نفاثة ،وله باب من الخلف يؤدي الى قاعة تستوعب ٨٠ راكبا . ويصف أحد المهندسين عملية سير هذا القطار وطريقة اقلاعه فيقول : ما ان بدأت المراوح ، التي يديرها محركان طوربينيان يعملان بالغاز ، برفع هذا القطار الذي يزن ٢٢ طنا ، مقدار ثلاثة أثمان البوصة فوق خط سيره حتى شعرت بحركة خفيفة ، وسمعت هديرا مكبوتا للمحركين الطوربينيين اللذين أخذا يدفعان القطار تدريجيا . ونظرت الى عداد السرعة فوجدت أن سرعته تتزايد حتى بلغت في غايتها ٢٧٠ كيلومترا في الساعة .

وأثناء اقلاع هذا القطار الطائر فوق خطه المقام بين المزارع والحقول ، يشعر الراكب وكأنه في طائرة نفاثة تدرج على أرض المطار ولكن بطريقة أهدأ . فليس هناك ضجيج ولا اهتزاز ولا تمايل كما يحدث في القطار العادي مع العلم أن سرعته تربو على ضعف سرعة القطار العادي . هذا وتبلغ السرعة المقررة له بعد إتمام تطويره ٤٠٠ كيلومتر في الساعة في خط سيره المقام على ارتفاع بضعة أمتار عن الأرض .

ومع أن هذا القطار الطائر قد أثار اهتماما لدى الأوساط العالمية ، الا أن الطلب التجاري عليه لا يزال ضئيلا .

والى جانب هذا البحث الدؤوب لابتكار وسائل نقل جديدة ، قامت احدى الشركات الفرنسية بخطوة سريعة لمساعدة المسافرين ، فطورت قطارا طوربينيا ذا سرعة عالية مستخدمة في ذلك الوسائل الفنية المتطورة ومرافق السكك الحديدية التقليدية بما في ذلك خطوط السكك الحديدية الموجودة حاليا .

ومن خصائص القطار الفرنسي الجديد أنه يمتاز على القطار العادي بقدرته على المسارعة و بطريقة وقوفه الهادئة. هذا بالاضافة الى أن كثيرا من المواد التي تستخدم في صناعته، مثل الحديد والكروم والالومنيوم وألياف الزجاج متوفرة .

هذا ، ويوجد في فرنسا حاليا عشرة قطارات طوربينية تعمل في نقل الركاب بين باريس، وكان، وشيربرغ ، مستخدمة في ذلك خطوط السكك الحديدية القديمة ، ويتسع كل من هذه القطارات لمائة وثمانين راكبا، وتبلغ سرعته القصوى نحو ١٧٠ كيلومترا في الساعة ، أما محركه الطوربيني فيعمل بالغاز وتبلغ قوته ١٥٠٠حصان آلي . ومن ناحية أخرى، يجرى العمل حاليا على تصميم قطارات طوربينيـة جديدة تبلغ سرعتها القصوى ٢٥٠ كيلومترا في الساعة ولكنها ستستخدم سككا حديدية جديدة .

ان الاعتمـاد على القطار في نقل الناس والبضائع يزداد يوما بعد يوم في الدول الصناعية المزدحمة . ففي عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ مثلا، بلغت الزيـادة في نقل الركاب في أوروبا بنسبة خمسة في المائة وفي نقل البضائع ثمانية في المائة . ومن المتوقع أن تزداد هذه النسبة أكثر فأكثر في المستقبل بازدياد الحركة التجارية واطراد تكاثر السكان . لذلك فان الطائرات لن تستطيع منافسة القطارات على خطوط النقل التي تقل رحلاتها عن ٥٠٠ كيلومتر سواء كان ذلك مـن ناحية السرعة أو الكفاءة أو التكاليف .

ينطلق القطار الفرنسي الطائر، بقوة محركات طوربينية، فوق وسادة من الهواء ارتفاعها ثلاثة أثمان البوصة تفصل بينه وبين الخط الذي يسير عليه .

هذا ، ويتوقع المهتمون بشؤون النقل مستقبلا زاهرا للمحركات التي تعمل بالغاز ، اذ ستصبح في مستوى محركات الديزل المستخدمة حاليا . وتمتاز المحركات الغازية الحالية على المحركات التي تعمل بالديزل من حيث الوزن وحجم المحرك .

ويتفق رجال السكك الحديدية في كل من بريطانيا وفرنسا على أن السرعة عامل مهم في اجتذاب الركاب . وهي بالنسبة لقطارات الركاب المتطورة تشكل عاملا من عوامل تفوقها . وقد دلت الدراسات التي أجرتها بعض الشركات الصناعية على أن زيادة كيلومتر واحد من السرعة في الساعة تعني زيادة واحد في المائة في عدد الركاب . ولذا فان الشركات تضع عامل السرعة نصب أعينها عندما تقدم على تشغيل قطارات الركاب المتطورة واعتمادها في مجال النقل ، بحيث يكون في مقدورها السير بسرعة تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ كيلومترا في الساعة باستعمال الخطوط والاشارات الموجودة حاليا . فاذا ما استبدلت هذه الخطوط بأخرى جديدة فان سرعتها قد تبلغ حينذاك نحو ٤٠٠ كيلومتر في الساعة .

وتتألف الوحدة الأولى من قطارات الركاب المتطورة التي تجرى التجارب عليها في بريطانيا من عربتين للركاب ، وأخريين للمحركات استعيرت من مؤسسة صناعة معدات الفضاء . وقد ثبت في كل عربة من العربتين الاخيرتين أربعة محركات تعمل بالغاز قوة كل منها ٣٠٠ حصان آلي ، الأمر الذي أكسب هذا النوع من القطارات ميزات يفوق بها على القطارات العادية وخاصة في مجال السرعة . هذا مع العلم بأن وزن المحركات الجديدة لا يزيد على نصف وزن محركات الديزل . ويقول المهندسون أن هذه القطارات المتطورة تستطيع اجتياز المنعطفات بسرعة تزيد ٥٠ في المائة على سرعة القطارات العادية ، وفيها من الأجهزة الميكانيكية الهيدروليكية ما يمكن العربات من توفير راحة أفضل للركاب لدى اجتياز المنعطفات .

وفي عام ١٩٦٩ ، وافقت وزارة النقل البريطانية على مشاركة مؤسسة خطوط السكك الحديدية البريطانية في مشروع ضخم للبحث في قطارات الركاب المتطورة والمشاريع الأخرى التي لها علاقة بالأمر. ومن المزمع انشاء خط حديدي بعد بناء النفق نهائيا تحت مياه القنال الانجليزي الذي يفصل بريطانيا عن فرنسا . ومن المتوقع آنذاك أن يتمكن الراكب الذي يسافر بالقطار الآنف الذكر من محطة تقع وسط مدينة لندن عبر نفق القنال الى محطة أخرى تقع في وسط مدينة باريس.. أن يتمكن من قطع المسافة خلال ساعتين و ٤٠ دقيقة ، بدلا من قطعها في سبع ساعات بواسطة القطار العادي . هذا ، ويتوقع المسؤولون أن لا تزيد تكاليف السفر بقطارات الركاب المتطورة عن تلك التي تتم بالقطارات العادية .

وهناك شركة بريطانية لنقل الركاب بأعداد كبيرة ، بدأت بتطوير وسيلة أخرى في هذا المجال هي « القطار الحوام — Tracked Air Cushion Vehicle » الذي صمم ليستوعب مائة راكب ويسير بسرعة ٤٨٠ كيلومترا في الساعة . والمركبة الحوامة هذه تختلف قليلا في تصميمها عن القطار الطائر ، وقد كانت التجارب والاختبارات التي أجريت عليه مؤخرا ناجحة ومشجعة .

وبينما نجد بريطانيا في المراحل الأولى من تطوير وسائل النقل الجماعي الموجودة لديها واستحداث وسائل أخرى جديدة ، نجد أن اليابان قد صممت واستخدمت قطارا من النوع المتطور منذ أكثر من ثمانية أعوام . ومنذ أن افتتح هذا الخط لنقل الركاب في عام ١٩٦٤ وهو يعتبر أشهر خط حديدي في العالم . فالقطارات التي تسير عليه والتي أطلق عليها اسم «Bullet trains» تنقل حوالي ٢٤٠٠٠٠ راكب يوميا عبر مسافة تبلغ نحو ٥١٠ كيلومترات ، وهي المسافة التي تفصل بين مدينتي «طوكيو» و«أوساكا» ، وذلك خلال ثلاث ساعات وعشر دقائق ، وبسرعة تصل الى نحو ٢١٠ كيلومترات في الساعة . ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا الخط الحديدي الشهير قد عكس حقيقة بارزة وهي اقبال الناس بأعداد كبيرة على استخدام القطار دون وسائل النقل الأخرى في انجاز أعمالهم اليومية ..

ولعتبر نجاح هذا القطار السريع خطوة أولى في مشروع كبير يستهدف بناء شبكة من السكك الحديدية يبلغ طولها حوالي ٧٢٠٠ كيلومتر لتسيير القطارات السريعة عليها وربط مدن اليابان كلها بعضها ببعض . وفي العام الماضي بدىء بتشغيل خط جديد طوله ١٦٠ كيلومترا يربط « أوساكا » مع « أوكاياما » . وقد أخذت القطارات النارية ، كما يسمونها ، تسير عليه بسرعة تصل الى نحو ٢٠٠ كيلومتر في الساعة .أما تكاليف هذا الخط فقد بلغت ٧٣٠ مليون دولار تقريبا .

ومن جهة أخرى ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة استغرقت خمس سنوات بغية تحسين وسائل النقل الجماعي في بعض المناطق المزدحمة بالسكان . وقد جاء في تقرير اللجنة التي قامت بالدراسة اقتراح لتحسين وسائل النقل السريع بالسكك الحديدية الموجودة حاليا والممثلة في قطارات « المترو » بين نيويورك وواشنطن ، والقطارات الطوربينية بين نيويورك وبوسطن . ولعل الغرض من وراء ذلك هو تخفيض المدة التي تستغرقها الرحلة بين نيويورك وواشنطن من ثلاث ساعات الى ساعة ونصف الساعة فقط . وبطبيعة الحال، فان مثل هذه الخطوة تتطلب نفقات ضخمة قد تصل الى أكثر من ألفي مليون دولار ، وذلك لاعداد الخطوط اللازمة من حديدية وكهربائية لاستخدام القطارات المزمع تطويرها والتي يتوقع أن تبلغ سرعتها ٢٤٠ كيلومترا في الساعة . ونتيجة للدراسة الآنفة الذكر ، فقد قررت ادارة النقل في الولايات



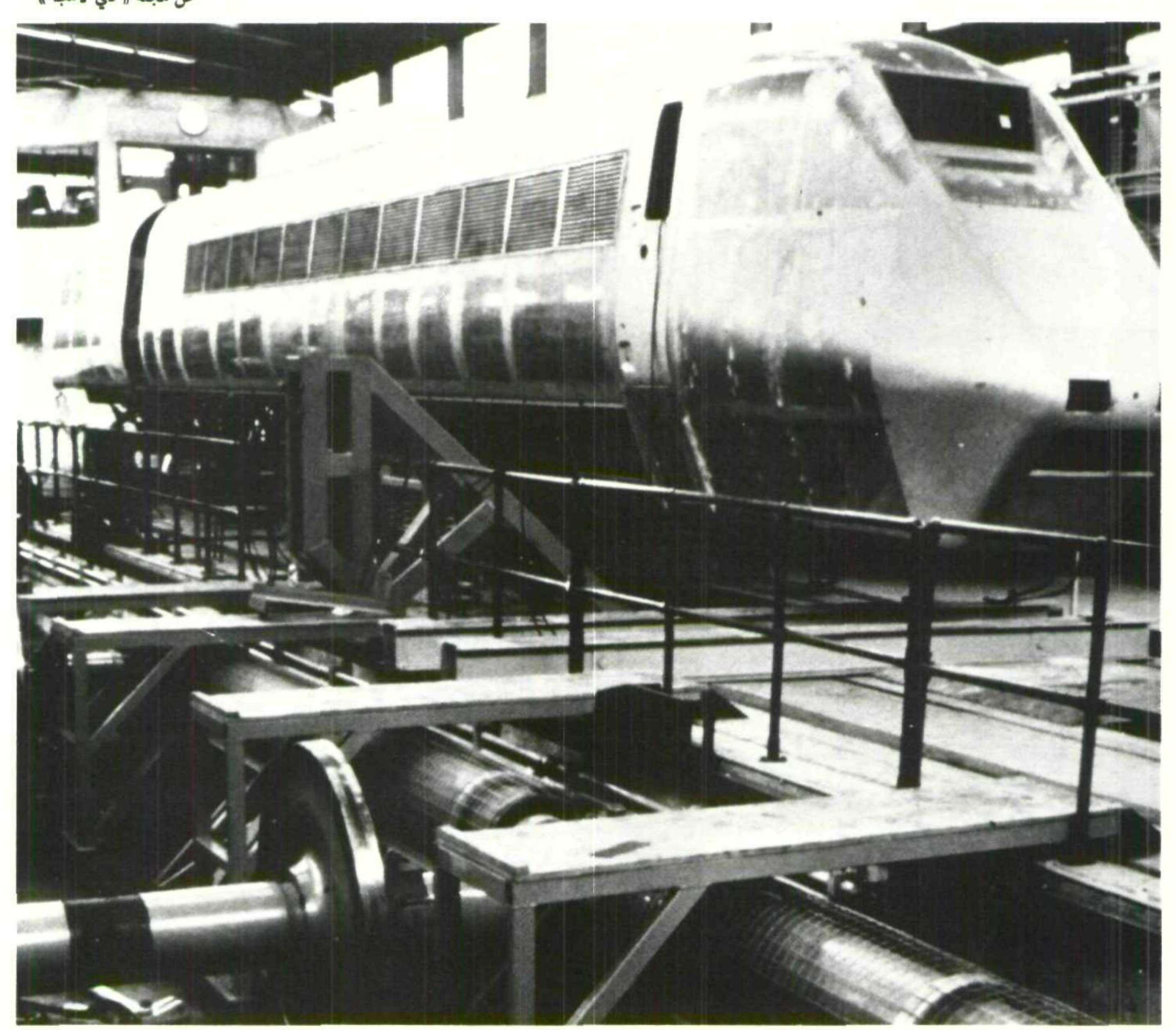
يمر القطار الطائر بين المزارع والحقول على خط أقيم على ارتفاع بضعة أمتار عن الأرض ويتوسط أعلاه جدار ارتفاعه أقل من متر ، ويتوقع أن تصل سرعة القطار القصوى الى أكثر من ٣٢٥ كم في الساعة .

المتحدة الأمريكية اقامة مركز لتطوير وسائل النقل الحديدية يكون هدفه تطوير وسائل تقنية حديثة للسكك الحديدية العادية ، وتطوير أنظمة حديثة متقدمة . ومن المشاريع الرئيسية التي يزمع انجازها في هذا المجال ، تطوير قطار تبلغ سرعته ٤٨٠ كيلومترا في الساعة ويسير بواسطة محرك ذي مروحة طوربينية . غير أن انجاز مثل هذا المشروع لن يصبح على نطاق تجاري قبل عام ١٩٨٥ كما انه يحتاج الى استثمارات تصل الى نحو ٢،٧ بليون دولار . وبانجازه ، تصبح المدة التي تستغرقها الرحلة من نيويورك الى واشنطن ساعة واحدى عشرة دقيقة .

على أن هذه القطارات والحافلات الآنفة الذكر ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، ليست فقط هي التي يجرى بحثها في الأقطار المتقدمة والمزدحمة بالسكان ، وانما هناك فكرة ، وان كانت تبدو غير ممكنة في المستقبل القريب ، الا أنها ، نظريا ، ستكون أسرع وسيلة نقل بعد الطائرات ، ترمي الى تطوير قطارات تسير عبر أنفاق أو أنابيب مفرغة من الهواء جزئيا حيث تساعد الجاذبية على تحقيق سرعة مرتفعة جدا . لكن النفقات الباهظة المترتبة على انشاء الأنفاق والأنابيب والمشاكل التقنية الأخرى لا تزال تشكل حجر عثرة في تحقيق هذه الفكرة .

إن مهمة النقل الجماعي أو نقل المسافرين بأعداد كبيرة بالنسبة للبلدان المتقدمة صناعيا والمزدحمة سكانيا ، مهمة صعبة في الوقت الحاضر . علما بأن السيارات والطائرات قد حققت ، في السنوات الأخيرة رغبة الكثيرين من المسافرين ولبت كثيرا من مطالبهم من حيث السرعة ، والأمان ، والتكاليف المعتدلة ، والراحة والكفاءة ، وأثبتت أنه يمكن الاعتماد عليها . غير أن تحسين وسائل النقل التقليدية بالسكك الحديدية وما قد يجرى تطويره أو استحداثه في مجالها في المستقبل ، أصبح الآن أمرا ضروريا وحاجة ملحة لتلبية مستلزمات النقل الجماعي في الغد القريب ■

اعداد : ابراهيم أحمد الشنطي
عن مجلة « ذي لامب »



في مركز « ديربي » الفني بانجلترا يجري تطوير هذا القطار السريع الذي يتوقع المسؤولون له مستقبلا باهرا .

الفاضل في صفة الأدب الكامل

تأليف : أبو الطيب الوشاء محمد بن اسحق بن يحيى ■ تحقيق : الراحل يوسف يعقوب مسكوني ■ عرض وتعليق : الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

هذا كتاب من كتب التراث ، صدر في بغداد ، وقد ساعدت وزارة الاعلام هناك على نشره .. وهو للوشاء ، الأديب النحوي ، من رجال القرن الثالث والرابع الهجريين .

وقد طبع بمطبعة شفيق ببغداد في عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) . وصدر في غلاف جميل ، وورق جيد صقيل ، وبحرف واضح كبير . وقام بتحقيق المخطوطة الأستاذ « يوسف يعقوب مسكوني » بيد أنه توفي ، وثمرة جهده وسهره لا تزال في المطبعة لم تنجز ! فتولى الاشراف على طبعه ووضع فهارسه الأستاذ « شاكر علي التكريتي » .

وقام بتصميم غلافه الأستاذ « حميد المحل » والغلاف — كما قلت — جميل ، وتصميمه بارع تخيل فيه الرسام ، شخصية الوشاء ، ملتحيا معتما سمح التقاطيع ، يلتزم الطرس ، والقلم ، والمحبرة ..

ومؤلف الكتاب هو أبو الطيب الوشاء ، محمد بن اسحاق بن يحيى .. توفي سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) .

وقد بذل محقق الكتاب جهدا جيدا مشكورا في تتبع ما أوردته كتب الأدب والتراجم عن حياة الوشاء .. وأثبت في ذلك نصوصا ساقها في مقدمته .. ومع ذلك فلا يزال الغموض يكتنف حياة هذا الرجل العالم ..

وقد تتبعت بدوري المصادر التي عنيت بالترجمة له ، من المظان المتيسرة المعروفة ، فلم أستطع أن أضيف شيئا جديدا الى ما أورده المحقق الفاضل .. مما دلني على أنه قد استفرغ في ذلك جميع جهده .

وأوسع من ترجم للوشاء حقا هو « ياقوت الحموي » في معجم الأدباء . وقد أورد المحقق نص ما ذكره عنه .. وهو على سعته ليس فيه غناء .. فلا نعرف من هذا النص تاريخ مولده ، ولا موطن نشأته ، ولا تاريخ حياته ، ولا رحلاته ..

ولكنه مع ذلك ، فقد ألقى أضواء على حياته لا تجدها في مصدر آخر ، فقد حدثنا أنه حدّث عن « أحمد بن عبيد بن ناصح » و « الحارث بن أسامة » و « ثعلب » و « المبرد » .

ثم سرد مؤلفاته ، وأعطى نماذج من شعره وتدل هذه النماذج ، على أنه كان يتمتع بروح شعرية رقيقة كقوله :

يا من يقوم مقام الروح في الجسد
لا تحسبنّي خلّي البال من سهــد
حاشاك من أرقي ، حاشاك من قلقي
حاشاك من طول ما ألقى من الكمد
حزني عليك جديد ، لا نفاد له
أوهى فؤدي وأوهى عقدة الجلد
والصبر عنك قليل مضرم قلقــا
بين الضلوع ، كصبر الأم عن ولد

وقد أوردت هذا النموذج من شعره لأدل على أن « الوشاء » كان شاعرا الى ميزاته المتعددة . ولعل في ذلك ما يغري الباحثين المنقبين على تتبع سيرة هذا الرجل ودراسة مؤلفاته دراسة مستأنية واعية ليلقوا المزيد من الضوء على حياته ..

وتدلنا مسميات مؤلفاته الكثيرة على أن « الوشاء » كان معنى بكثير من العلوم والفنون ، فهو عدا عما ألفه في النحو ، وهو اختصاصه الأول ، قد ألف في الحيوان ، والرياضيات والتاريخ والأدب . وكتاب « الفاضل » الذي أتحدث عنه اليوم ، هو أحد ثمرات أدبه .. بيد أن تراثه الكبير تعرض معظمه أو جله للضياع .. ولكثرة عنايته بالأخبار ، فقد عرف أيضا بالأخباري ومن كتبه المعروفة والمطبوعة كتابه « الموشى » .

أما محقق الكتاب ، فهو كما أسلفت الأستاذ « يوسف يعقوب مسكوني » . وقد قدمه الأستاذ « شاكر علي التكريتي » الذي أشرف على طبع المخطوطة وتنظيم فهارسها ، فقال عنه أنه الأديب البحاثه المعروف .. وقد امتدح عنايته بالتحقيق ، وذكر أن له مؤلفات وتحقيقات ومترجمات .. بل لقد ضم الكتاب نفسه في أخريات صفحاته ثبتا بأسماء آثاره المطبوعة وغير المطبوعة .. تدل على أنه صاحب نشاط فكري متنوع ، فهو يؤلف مثلا كتابا في الألحان والتراتيل الآرامية نشر في عام ١٩٦٥ ، ويجمع ما قيل في تأبين الخوري بطرس سابا في كتاب .. ويعنى بعدد من كتب التراث فينشرها ويحققها كرسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو ومجموعة رسائل في النحو واللغة ، ويقدم مجموعة من المترجمات ويهتم بعدد من الدراسات الأدبية والتاريخية ..

اذن فهو أديب باحث محقق ، مؤرخ واسع الاطلاع ، صاحب مكتبة زاخرة بالمخطوطات ونفائس التراث ..

لقد كنت أتمنى لو أن الأستاذ « شاكر علي التكريتي » الذي أشرف على طبع الكتاب واخراجه قدم لنا ترجمة—ولو موجزة—عن الأستاذ المسكوني غير هذه المعلومات التي يستخلصها القارىء من هنا وهناك .

وقد أخبرنا الأستاذ « شاكر علي التكريتي » في تقديمه للكتاب ، أن الأستاذ « مسكوني » قد فرغ من تحقيق المخطوطة « كاملة » ، ودفع بها الى المطبعة ، ثم وافاه الأجل المحتوم قبل أن يخرج الكتاب الى النور .

فكان ان قامت وزارة المعارف (في العراق) بالمساعدة على طبع المخطوطة ، وأن تولى الأستاذ التكريتي مهمة الاشراف على طبعها وفهرستها ونشرها (في ضوء المتون والشروح والهوامش التي تركها المحقق بكل أمانة ودقة) .

ولا شك أن الأستاذ التكريتي قد قام بجهد مشكور في المهمة التي اضطلع بها ..

ولكن يبدو أن وفاة المحقق قبل أن يشرف على اخراج المخطوطة بنفسه ، قد عرض الكتاب لبعض الهنات وسأعود الى تفصيل ذلك في موضعه من هذا المقال ، ولكن يكفي أن أشير هنا الى مثل واحد هو تكرار بعض التراجم في الهوامش ، وكان يمكن حذف المكرر مع الاشارة الى مواطنه ..

ويحدثنا محقق الكتاب عن المخطوطة ، في مقدمته فيقول : ان كتاب « الفاضل في صفة الأدب الكامل » يقع في جزأين منفصلين وأنه جاء في نهاية الجزء الأول هذه العبارة : « تم الجزء الأول من جزءين من كتاب الفاضل

بتوفيق الله وعونه ولطفه ، ويتلوه الجزء الثاني من جزءين » .

وانه جاء في نهاية الجزء الثاني هذه العبارة : « تم الجزء الثاني من جزءين من كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل » .

وجاء في ختام الجزء الثالث من كتاب « وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود» صلى الله عليه وسلم هذه العبارة : « وبه تمام الكتاب وذلك وقت الضحى من يوم الأربعاء السادس عشر من شهر شوال المكرم لسنة أحد عشر (كذا) ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية .. »

وقد أوردت هذه النصوص ، بغية التعرف الى تقسيم الكتاب .

وقد جاء النص الأول في نهاية الكتاب الذي بين يدي ، كما هو . ولكن المحقق لم يحدثنا عن الطريقة التي اعتمدها في نشر الكتاب ، ولم يفعل ذلك الأستاذ التكريتي . فبدأ من عدة دلائل أن الكتاب بقي على ترتيبه ، ولكن لم يرد في غلاف الكتاب ما يدل على أنه من قسمين ليعرف ذلك القراء فينظرون قسمه الآخر ويطلبونه .. وكان جديرا أن يثبت ذلك في الغلاف الداخلي على الأقل . كما كان جديرا أن يثبت به اسم المؤلف كاملا وسنة وفاته ولا تكفي عبارة « الوشاء من خلال القرن الثالث الهجري » ، التي جاءت على الغلافين الخارجي والداخلي .

لقد قدمت « دار صادر » و « دار بيروت » كتاب « الموشّى » للوشاء أيضا فلم يفتهما أيضا أن تقدما صورة وهمية للوشاء على الغلاف الخارجي .. ولكنهما في الغلاف الداخلي أثبتتا اسم المؤلف ولقبه كاملين .. وحسنا فعلتا ..

ويسبق الكتاب — أعني نصه — صفحات مختلفات ، هي على الترتيب :

• نص ، في اطار من المخطوطة ، كنموذج من مادته ، ضم وصية أكثم بن صيفي لولده .

• صورة فتوغرافية للأستاذ مسكوني وهو في مكتبه.

• الاهداء : وفيه يهدي الأستاذ مسكوني عمله الأدبي هذا الى قرينته ، التي شاركته السهر في دنيا التحقيق والتنقيب .

• تقديم الأستاذ « شاكر علي التكريتي » للكتاب ، وقد سلف أن أشرت الى هذا التقديم .

• صورة بالزنكوغراف من الصفحة الأولى والثانية من المخطوطة ، ويبدو منها أنها بخط حسن واضح .

• صورة للكتاب الذي ورد للأستاذ مسكوني من الأستاذ أبو الفضل ابراهيم ردا على استفساره عن نسخة جامعة استانبول التي صورتها دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة .

• مقدمة المحقق .

وتضم المقدمة ، الكلام عن الوشاء ، والتعريف به ، وقد سبق أن أشرت أن المحقق الفاضل بذل جهدا مشكورا في تتبع المصادر التي ترجمت للوشاء أو ذكرت عنه خبرا .. واستعرضها واحدا واحدا .

وسع ما بذل المحقق مـــن جهد جيد في هذا السبيل .. الا أنني كنت أحب أن ينفسح له المجال أيضا للاستنتاج الشخصي ، كنتيجة لدراسة المخطوطة .. وذلك كأن :

• يحدثنا عن ذلك التراث القليل الذي بقي من مؤلفات الوشاء وما هو ؟ وأين هو ؟ وما هو المطبوع منه وما هو غير المطبوع ؟ وما مظان وجود غير المطبوع منه ؟

• أن يحدثنا عن أسلوب الوشاء في هذه المخطوطة وفي غيرها ..

• من أجل من ألف الوشاء كتابه هذا ؟ فقد استوقفت مقدمته المحقق الفاضل ، فأورد نصها في مقدمته هو ، ثم قال معقبا :

« هذه هي مقدمة الكتاب ، ومن قراءتها نستدل على الغاية التي وضع المؤلف من أجلها الكتاب وهو « كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل » وهو ليس كتاب الفاضل للعلامة المبرد الذي سبق أن حققه وطبعه الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني » .

أقول استوقفته المقدمة ، ولكنه لم يتساءل لمن ألف المؤلف كتابه ؟ لمن توجه بقوله : « أطال الله في ظل أفياء السلامة بقاك وجعلك لمتوخي سبوغ النعم معقلا ، ومتعك بوفاء عهود اودائك وبلغك الغاية من تأميل ذوي المودة من أودائك » قرأت متعك الله بالسلامة ما كتبت تشكو الينا من قلة الثقة بأصحابك .

بيد أنني أعذر المؤلف الفاضل ، لما اكتنف حياة الوشاء من غموض ..

على أن هذه المقدمة قد أعطتنا صورة من أسلوب الوشاء ، وكشفت عن ميله للسجع ، شأنه أيضا في مقدمته لكتابه « الموشى » على اناقة في التعبير ، واستقصاء لأطراف الصورة ..

ولم يحدثنا المحقق الفاضل عن أوجه الشبه بـــين الكتابين المتشابهين « الكامل » للمبرد و « الفاضل » للوشاء .. بينما حدثنا أن المبرد أستاذ الوشاء ، وان الأستاذ عبد العزيز الميمني حقق ونشر كتابا للمبرد اسمه « الفاضل » أيضا ، وكان حريا ، وقد تطرق الى ذلك أن يعقد مقارنة بين الرجلين والكتابين ، ومدى متابعة الوشاء للمبرد .. ومدى تأثره به وأخذه عنه وأوجه الشبه بين الكتابين ، وأوجه المغايرة.

آن لي الآن أن استعرض الجهد الذي بذله المحقق الفاضل في هذا الكتاب ..

ولست أشك في مدى ذلك الجهد ، فانه كان بلا مراء جهدا كبيرا.. أقول هذا وأنا أعرف تماما مدى ما يعانيه أي محقق صادق لأي مخطوط قديم ، حتى لو كان المخطوط على جانب من وضوح الخط ..

ذلك أن الترتيب والتنسيق والعنونة جوانب تكاد تكون مهملة عند ناسخي الكتب ، بله علامات الترقيم والفواصل .. عدا ما يعتور مثل هذه الكتب من نقص ، وتشويه وخروم ، وخلط ، واخطاء املائية ، ومحو وفراغات ، وتداخل الهوامش والحواشي في صميم المتون .

لذلك أرى أن أي جهد يبذل في سبيل تحقيق واخراج أي كتاب قديم ، جدير بالتقدير ، كيف اذا امتد هذا الجهد ، فتناول شرح الألفاظ ، وارجاع الغامض الى أصله ، ومطابقة النصوص بعضها الى بعض ، والترجمة للاعلام . وقد اضطلع المحقق الفاضل بكل ذلك ، فكان عمله حقيقا بالاكبار .

فاذا وردت بعد ذلك ملاحظات على هذا الجهد ، فانما هي من قبيل الأماني ..

فقد كنت أتمنى مثلا ، المزيد من العناية بعلامات الترقيم والفواصل .. وبدء بعض العبارات من أول السطر تلافيا لتداخل الكلام .

وعلى سبيل المثال أورد هذه العبارة التي جاءت في ص—٣٩ :

« وقال ابن المبارك : ما قرأت كتاب رجل قط الا عرفت مقدار عقله . ونحن نستعين الله ونودع كتابنا هذا شيئا تبتهج به العقلاء .. »

فكان حق عبارة « ونحن نستعين الله » وهما من كلام المؤلف ، أن تكون في أول السطر لئلا تتداخل مع النصوص التي كان يسوقها .

ومثله هذه العبارة ص—٤٠ :

« وكان ابن عمه علي ، رضي الله عنه ، كذلك فصيح اللسان ، حسن البيان ، وله خطب يكثّر عددها ويطول أمدها ، وليس قصدي في هذا الكتاب الى التطويل ... » ، فلو وضعت عبارة « وليس قصدي » من بداية السطر لكان أولى .

وأود أن أقف هنا قليلا عند هذه العبارة، فقد شرح فيها المؤلف خطته في كتابه، فأوضح أنه يهدف الى الاختصار لا التطويل .. وقد ركز على هذه الخطة في نهاية كل باب من أبوابه تقريبا .

وعني المحقق الفاضل بترجمة الأعلام التي يرد ذكرها في متن الكتاب، ترجمة لطيفة، مع الاشارة الى مراجعه، معتمدا في الدرجة الأولى على كتاب الاعلام «للزركلي»، وهو مرجع ثقة جدير بالاعتماد .

وإذا لم يعثر على ترجمة لبعض الأسماء، فانه يصرح في الهامش بذلك، كما فعل مثلا في ص-٩٧ عند ذكر «محمد بن حرب» فقد قال: «لم نعثر له على ترجمة خاصة به، انما ذكره الطبري وهو اسماعيل بن خالد ابن أبي كثير ج-٣ (ص-٢٥٥٨) ط دي غويه»

ولكن المحقق تخلى عن طريقته هذه في بعض الأسماء، فلم يترجم لها، ولم يقف عندها لا بسلب ولا بايجاب .. فلم يذكر شيئا عن أحمد بن المدبر، ص-١٣٤، ولا عن ابن السماك، ص-١٣٥ وص-١٦٧ وعبد الله ابن قايد، ص-١٤١، وثمامة بن ثمامة الانصاري، ص-١٤٣، وسلم بن نوفل الدؤلي، ص-١٤٤.. ذكر هذه الأسماء على سبيل المثال فقط .

ويقابل ذلك تكرار بعض التراجم للشخص الواحد، وأحيانا، كالمدائني، فقد وردت ترجمته في ص-١١١ وص-١٤٧، وهشام بن الكلبي، فقد ترجم له في ص-١٧٢ وعاد لترجم له بعد صفحات قلائل ص-١٨٦ .

وقد تكون الترجمة غير مجدية، فقد قال عن «عقال بن شبية» هامش ص-١٤٨: «وهو من أدباء العرب» .. فان هذا التعريف (أو محاولة التعريف) لم يجل غامضا، فلم يزل السؤال قائما: من هو عقال هذا؟ هل هو شاعر أو ناثر أو مؤلف؟ وما مولده ووفاته؟ الى آخر المعلومات التي يتطلبها التعريف به . مهما كان موجزا ..

وقد يجيء التعريف مبتورا كما هو في ص-٨٢ عندما تحدث عن «سليمان بن عبد الملك» فقال عنه «خليفة من خلفاء بني أمية في الشام فلو أضاف اليه للفائدة تاريخ مولده ووفاته وتاريخ توليه الخلافة لكان حسنا ..

وكان من حسنات المحقق، أن يعرف بمجاهيل الشعراء أو الأدباء، أولئك الذين يقول عنهم المؤلف قال الشاعر، أو قال الاعرابي، دون أن يسميهم، فقد جهد أن يعرف بهم ما وسعه الى ذلك سبيل واني لالتمس له العذر، ان ترك ذلك أحيانا، فليس هذا في وسع أي محقق مهما كانت سعة اطلاعه أو مهما كان حفظه أو دقته .. فما أكثر مثل هؤلاء المجاهيل في تاريخ الأدب العربي ..

وسع عناية الأستاذ «مسكوني» بشرح الكلمات الغامضة في المتن .. بل حتى غير الغامضة أحيانا فقد ترك ألفاظا حقها الشرح بلا شرح .. كهذه الكلمات: سارحة، رائحة، لاوية لسانها على عود، ص-١٢٦ من هذه العبارة: «اعترض اعرابي أبا جعفر فقال: يا أمير المؤمنين، اقشعرت المدن وقت السحر، فلم يوجد بها سارحة ولا رائحة، ولا لاوية لسانها على عود . فقال له الحرسي: كلم أمير المؤمنين بالعربية فقال: بها تكلمت . »

فمع أن هذه الألفاظ معروفة المعنى كمفردات الا أن المراد منها يحتاج الى ايضاح، أي انها وردت على سبيل الكناية وهذه الكناية تحتاج الى شرح .

وهناك ملاحظات أخرى عابرة ..

فهناك مثلا، نقص كلمة أو أكثر في ص-٩٧ في سياق قصة أوردها الشعبي، فقد جاءت العبارة هكذا «علقناكَ وعلقتَ أهل الشام، وعلق أهل الشام حب مروان، فما عسى أن قال الشعبي، فما سرحت بجواب أخصر منه ولا أحسن .. »

اذ يبدو أن صحة العبارة: «علقناك وعلقت أهل الشام، وعلق أهل الشام حب مروان، فما عسى أن نفعل . قال الشعبي ... » وهنا يتضح أهمية علامات الترقيم ..

وفي ص-٩٩ لمس المحقق سقطا في المتن فوضع بعده في المتن نفسه هذه العبارة:

«وينقطع الكلام هنا لنقص في الصحائف لا يعلم مقداره ناقل المخطوطة، اذ يشير في الصفحة المقابلة، بأن النسخة التي نقل منها فيها نقص حيث يضع في رأسها كلمة ناقص، ثم يأتي هذا الكلام»

وعندي أن هذا التعليق محله الهامش لا صلب المتن، كما أن المحقق الفاضل لم يحدثنا عن أي جهد بذله لتدارك هذا النقص واستكماله..

ودور الأستاذ «شاكر علي التكريتي» يأتي كما أسلفت في الاشراف على طبع الكتاب، ووضع فهارسه .

والأستاذ التكريتي بذل جهدا آخر في هذه المهمة جديرا بالتقدير .. ويتجلى ذلك بصفة خاصة في الفهارس، فقد وضع عدة منها أولها للاعلام، وثانيها للأماكن، وثالثها للمصادر، ورابعها للاشعار والقصائد، وذلك عدا فهرس محتويات الكتاب، وعدا ثبت بأسماء مؤلفات الأستاذ «مسكوني» ومترجماته وتحقيقاته، كما وضع بيانين أحدهما للأخطاء المطبعية التي وجدت في المتن، والأخرى لتلك التي وقعت في الهامش .

وقد لاحظت في ترتيب أسماء الاعلام، أنه بالرغم من الاعتماد على نظام الحروف الهجائية، فقد اعتمد معظم الفهارس على أسبقية الصفحات لا على توالي الحروف، فجاء اسم عبد الملك مثلا بعد عمرو، وعثمان، وعلي .. وان نظمت كلها في باب العين .

ومن قبيل المصادفة وحدها عرفت أن هناك أسماء تكرر ورودها ولكن لم تستوعب في الفهرس فاثبت شيئا وترك شيئا، وعلى سبيل المثال اذكر أن اسم علي بن عبد الله المدائني، وضع أمامه في فهرس الاعلام ص-١١١ مع أنه قد جاء اسمه أيضا في ص-١٤٧ .

وهناك عدد من الأخطاء المطبعية، لم يرد لها تصحيح في التصويبات .. وهذه مما لا يخلو منه أي كتاب مطبوع، مهما بذلت الجهود في تصحيحه وتصويبه .

من تلك الأخطاء ص-١٤٠ في المتن كلمة «عجيرتها» وصحتها «عجيزتها» ..

ومنها في المتن أيضا ص-١٦٠، قال: «جاوز» وصحتها «جاور» عبد الله بن جعفر عاما بمكة .

وفي الهامش ص-١٦٢ كلمة «منطقيا» والصواب «منطبقا»

وفيه ص-١٧٨ «البخاري» بالباء والخاء وصحته ابن ضمضم «النجاري» الخزرجي أي بالنون والجيم .

وبعد، فان هذا الكتاب كسب جديد للمكتبة التراثية، وخطوة جديدة في النهضة الماثلة، التي تعنى بنشر كتب التراث وتحقيقها والعناية بها .

كما أنه يعتبر أيضا كسبا هاما بالنسبة لتراث «الوشاء» خاصة، ذلك التراث الضائع المجهول . ولقد دلنا كتاب «الفاضل» وكتاب «الموشى» على أن أدب هذا الرجل وعلمه جديران بالحفاوة والاهتمام، وعسى أن تكون هناك جهود أخرى لكشف المزيد من مؤلفات «الوشاء» تلقي أضواء جديدة على حياته ■

عبد العزيز الرفاعي - الرياض

قِصَّة قَصِيرَة

مَدْرَسَةُ الحَيَاة

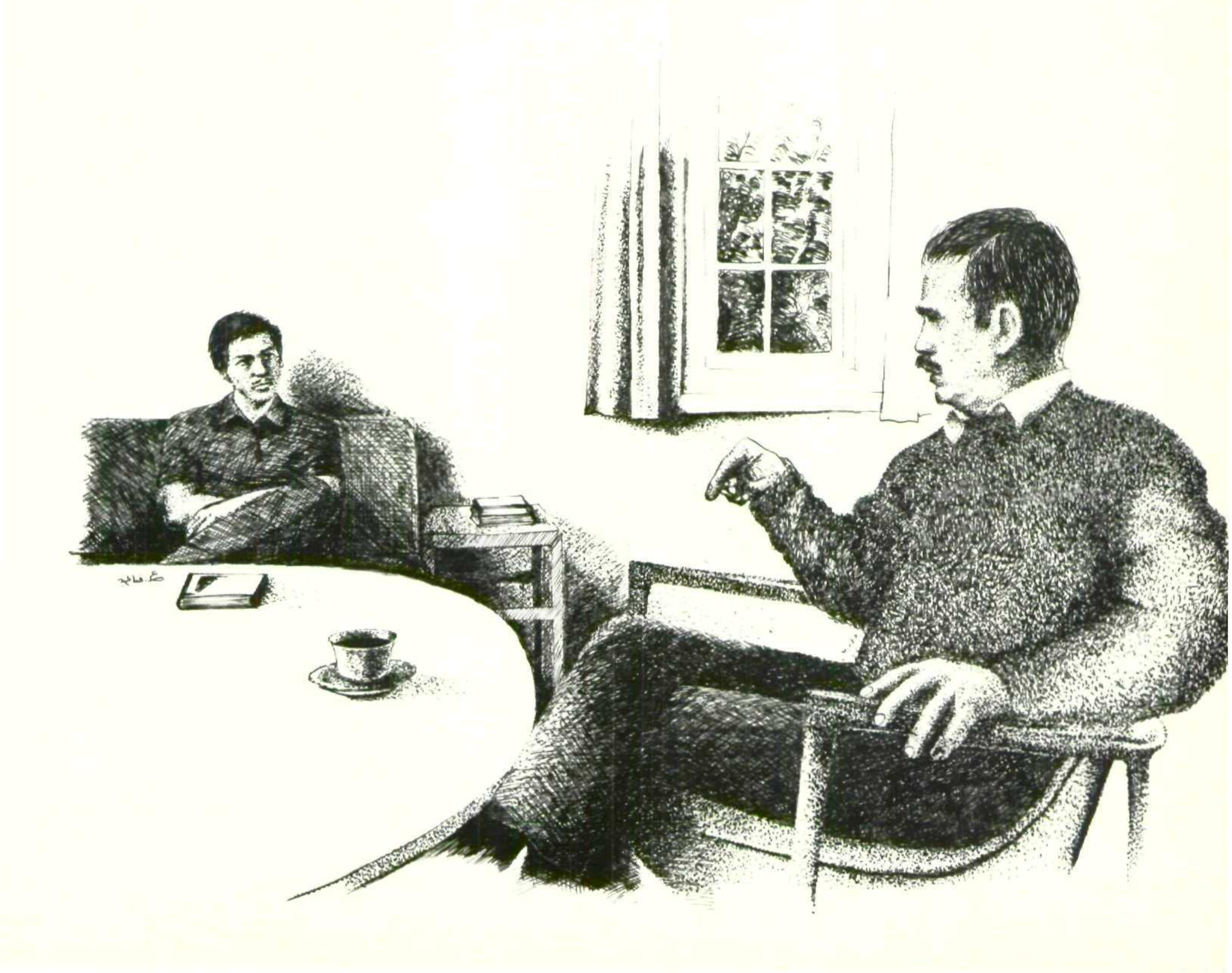
ألقى بجسده على الفراش ، بعد يوم حافل بصنوف التعب والارهاق ، وهدوء المكان من حوله يغسل أعصابه المنهكة ، وضياء المصباح وهو ينعكس على المرايا المثبتة في الجدران هنا وهناك ، يلقي على نفسه المرهقة مزيدا من السكينة ، فتنبسط .. وتتراخى عضلات جسده شيئا فشيئا ، ويدب في أعماقه خدر لذيذ فينطلق بخياله في رحلة طويلة ، لكنه ما ان يتذكر موقفا ما تعرض له من قبل ، حتى ينقبض من جديد ويحدث نفسه .

— آه .. لو لم يكن هذا الانسان .. لكان لي في هذا المكان شأن آخر . ورغم ذلك فهو لا يتوقف عند هذه النقطة طويلا ، فالنفس مشحونة بشتى الانفعالات ، والمواقف كثيرة على امتداد الرحلة التي على قصرها توشك أن تكون عمرا بأكمله . ويطلق لخياله العنان .. يفكر .. ويفكر .. لكن ، بصوت مسموع .

— ترى ماذا يقولون عني الآن ؟ لقد تركت الأهل بعد أن حصلت على « البكالوريوس » بامتياز وتحقق الحلم ، وها أنذا قد أصبحت مهندسا كبيرا .. وأين ؟ .. في القطر الشقيق الذي تشرئب له أعناق الشباب .. ويستطرد قائلا :

— مساكين .. لقد تصوروا كما تصورت .. انني قد وصلت للقمة التي ما بعدها قمة .. وأنا يالي من تلك السذاجة .. ويالي من غروري .. ليتهم يعلمون أنني اليوم فقط بدأت أول الطريق ، وعليّ أن أكافح ، وان أطبق العلم على العمل حتى أخرج من التطبيق بالنتيجة المطلوبة لأصل الى الهدف الذي سهرت من أجله الليالي . لكن «حمدي» سرعان ما يعترض علي هذا المنطق. وتتأرجح يده في الفضاء مع همساته المسموعة :

— لا .. لا .. علي أن أبدأ من جديد.. حتى لا يحدث ما يقشعر بدني لذكري . آه ..



بقلم: الأستاذ يس الفيل

لو لم يكن هذا الانسان ، لكان لي في هذا المكان شأن آخر .. ثم يواصل حديثه مع نفسه :

— صحيح اني قطعت سنوات الدراسة بجد واجتهاد .. تعلمت الكثير عن تاريخ البترول ، وأعمال الحفر ، وأستطيع أن أقوم بالدراسات الأولية ، وأعود للتقارير والكتب التي يعتمد عليها في عملية التنقيب ، وتعلمت أيضا متى تكون الظروف الجيولوجية ملائمة لتجمع الزيت ، وما يستلزم ذلك من فحص للصخور . نعم عرفت هذا وعرفت كيف اتتبع أي رشح بترولي أو أي غاز منبعث من شقوق القشرة الأرضية عند البحث . لكن العلم شيء والعمل شيء آخر .. وبون شاسع بين النظرية والتطبيق .. وها أنذا لم يكد اليوم الأول ينقضي علي في العمل حتى شعرت بأني قطرة توشك أن تتلاشى في خضم هذا البحر الكبير ، ولا بد أن تتلاشى ان آجلا أو عاجلا .

قال هذه الكلمات في نبرة عالية ، وانتفض «حمدي» من على الفراش كمن قرصه عقرب ، وأطل من النافذة .. مياه البحر على مرمى البصر .. والأمواج الثائرة كأنها في سباق مع الزمن . واستهواه المشهد ، فأدام النظر اليه ، بينما فكره يسبح في دنيا واسعة ، وخياله يقطع الآفاق العريضة ، والصراع النفسي الحاد يوشك أن يحطم أعصابه .. وأراد أن يحدد موقفه ، أن يخلع ملابسه ويلقي بجسده بين الأمواج .. ولوح بيده وهو يهمس لنفسه :

— لن أتعلم السباحة من كتاب ، الواقع شيء يختلف تماما عن العلم ، فلا تقارير ولا دراسات ولا كتب ، ولا تعقب رشح بترولي أو غاز منبعث من قشرة أرضية يفيدني ، لقد تأكد لي بالدليل القاطع ، ومنذ اليوم الأول ، أننا في مدينة تسبح في بحر من الزيت ، فماذا أصنع ؟ وكيف أبدأ ؟ .. قالها بمرارة واستند بمرفقة على النافذة . وراح يفكر في طريقة لوضع حد لهذا التمزق . غير أن طرقات على باب الحجرة قطعت عليه حبل التفكير ، فأرهف السمع . لم يصدق أذنه ، ان أحدا لا يعرفه هنا . تقدم نحو الباب بخطى متثاقلة . لكن الدهشة عقدت لسانه حين وجده هو .. هو بعينه :

— لم يكفه المصنع على اتساعه ، فهل يكفيه هذا الفندق ؟ بل هذه الحجرة الضيقة التي أنزل بها انه سيقضي علي لا محالة. لقد أطاح بكل غروري. شعرت أمامه بالضآلة وهو يتفقد العمل في الصباح وينهال عليَّ بالأسئلة ، وأنا أحوم حول المعنى ولا أعطي اجابة وافية . فماذا يريد مني الآن ؟ يا له من رجل ثقيل ، وانطبع ما في أعماقه على صفحة وجهه ، فبدت علامات حيرة وغضب لم يفلح ترحيبه الحار بالقادم في مداراتهما ، وأحس الزائر بما يعتمل في صدره فابتدره قائلا :

— كيف حالك يا أخي ؟ أردت أن أطمئن اليك دون ما سابق وعد ، تشفع لي الزمالة ، أنت ضيفنا. قال ذلك وانخرطا في حديث طويل عن العمل نفسه ، نسي علمه وانصت ، والزائر يتدفق كالبحر ، يتحدث في كل شيء . في الحفر والتنقيب ، في الجاذبية والمغناطيسية ، في الانتاج والتصنيع ، في تسويق البترول ، في آلات الورش ، في اصلاح الآبار ، في رسم الخرائط الدقيقة ، في التقطير والتثبيت والتكسير والتفحيم ، في الصداقة والمال ، في كل شيء تحدث . خبرة طويلة ومهارة عجيبة وعلم واسع ، أنصت «حمدي» طويلا وحملق كثيرا وهو لا يصدق أن كل هذا حدث .. وساءل نفسه :

— غير معقول أن يكون هذا الرجل قد بدأ من الصفر .. يا الهي .. كيف يحدث هذا ؟ عامل بسيط ، وبأجر زهيد ، في شركة آبار البترول ، تستهويه أسرار الحفر ، فيكافح ليتعلم ، ثم تسنح له الفرصة ، فيسافر الى الخارج في بعثة دراسية ، فيظهر تفوقا يجعل اسمه يحتل الصفحات الأولى من مجلات البترول والحفر العالمية . غير معقول هذا .. أنا لا أصدق . ويلاحظ الزائر دلائل الشرود بادية عليه . فيتوقف عن الحديث ليعود «حمدي» من شروده وهو يهمس :

— غير معقول :

وسأله الزائر : ماهذا ؟ فيجيب دون أن يشعر : ما تقول .. وفجأة يتنبه .. فيرتبك ، ويعتريه الخجل ، ويتنهد في التياع . لكن الزائر يأخذ بيده ويخرجه من ارتباكه بقوله :

— يا أخي هوّن عليك .. ماهناك غير معقول .. أما تعلم أن لكل فعل رد فعل مثله ؟ لقد حرمت طويلا يا أخي ، واندفاعي في هذا الطريق ليس الا نتيجة حتمية لهذا الحرمان . .لقد عدت من الخارج وكلي حرص على أن أوفر لأمتي ما حرمت أنا منه . وها أنت تراني .. ما زلت أعد البرنامج تلو البرنامج لتدريب الحفارين . صحيح تخرج على يدي العشرات .. لكن هدفي لم يتحقق بعد .. ولعلك لم تزر للآن مركز التدريب الذي أنشأته للعمال .. لقد زودته بمختلف النماذج التي تحتاج اليها هذه الصناعة . والأيام طويلة ، وسوف ترى . ثم لعلك لا تصدق أنني سعيد بك وبأمثالك من الشباب الطموح الذي نال قسطا لا بأس به من التعليم .. فهو يتفهم أسرار هذه المهنة سريعا . وفرق كبير بين من يبدأ من الصفر ومن يبدأ من المائة .

قال هذا وتململ.. شأن من يهم بانصراف، وهنا تذكر «حمدي» أنه لم يقدم لضيفه تحية ، فراح يعتذر .. وبدأ جبينه يتفصد عرقا ، لكن الزائر طيب من خاطره ، وهو يمد يده اليه مصافحا :

— يا أخي ، الأيام بيننا ، وسوف نلتقي كثيرا ، قال ذلك ، وانصرف . وعاد «حمدي» لوحدته ، لكن روحا وثابة جديدة بدأت تغزو نفسه ، وبدأت حيرته تتلاشى شيئا فشيئا ليحل محلها لون من الاستقرار ، وأخذ يستعيد حديث الرجل ويستعيد قصته مع العمل ، ويستمد من كفاحه الطويل نهجا جديدا يسير هو عليه .

— لقد بدأ من الصفر . لكني لن أبدأ كما بدأ . فأنا أحمل شهادة عالية بتفوق . وعلي أن أنجح في مدرسة الحياة ، مدرسة العباقرة ، والتي أستقبل يومي الأول فيها .. علي أن أبدأ على أسس جديدة ، أن أقتدي بهذا الرجل ، وأحس أن عواطفه قد استقرت تماما ، وأنه قد نزع من نفسه كل شعور بالحقد على هذا الخبير .. وتمنى لو أنه ماثل أمامه ليعانقه ، وليقول له : بارك الله فيك .. لقد كنت المصباح الذي سطع فجأة في ليل حياتي ، والشراع الذي انتشلني من مخالب الأمواج الى شاطىء الأمن والسلام ■

يسن الفيل — القاهرة

أخبار الكتب

* للشاعر الفيلسوف محمد اقبال كتاب ادبي فلسفي عنوانه « في السماء » نظمه شعرا باللغة الفارسية ، وجعله وعاء لدعوته الانسانية ومبادئه الاخلاقية والاصلاحية ونظراته الفلسفية الحكيمة .

وقد قام العلامة الدكتور حسين مجيب المصري بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية شعرا ، وجعل له مقدمة دراسية مسهبة أعانت على فهم معانيه ومراميه وغوامضه ، وأضاف اليه من الشروح والهوامش ما جعله كتابا أدبيا عربيا في الصميم .

والجهد المبذول في هذا الكتاب جهد ثلاثي الجوانب يومىء الى ما كابده الدكتور المصري في اعداده ، فالكتاب ترجمة ، ونظم ، ودراسة مسهبة ، وقعت كلها في أكثر من ثلاثمائة صفحة كبيرة . وقد نشرت الكتاب مكتبة الانجلو المصرية .

* ومن الدواوين الشعرية الجديدة « اغنيات الدم والسلام » للشاعر السعودي الاستاذ عبد السلام هاشم حافظ ونشر دار الصحافة العربية بقباء بالمدينة المنورة و « الديوان الجديد » للشاعر المهجري الاستاذ جورج الكعدي ونشر دار الكتاب الجديد و « شجرة الليل » للاستاذ صلاح عبد الصبور ونشر دار الوطن العربي و «الياذة من صنعاء والموؤودات» للاستاذ أحمد الشامي ونشر دار الكتاب العربي و « الاحتراق باتجاه الآخر » للشاعر محمد ياسر شرف ونشر مطبعة الثبات بدمشق .

* ظهرت طبعة ثالثة من كتاب « الأمثال العامية » للعلامة الراحل أحمد تيمور باشا تشتمل على زيادات واضافات ارتفع بها عدد الأمثال الى ٣١٨٨ مثلا .

وللكتاب مقدمة بقلم عميد القصة الأستاذ محمود تيمور (نجل تيمور باشا) ومقدمة اخرى عن الأسرة التيمورية أعدها سكرتير لجنة نشر المؤلفات التيمورية الاستاذ أحمد ربيع المصري ونشرت الكتاب دار الأهرام في طبعة أنيقة ضخمة .

* ظهر في بغداد كتاب نفيس عنوانه « دليل المراجع العربية » وضعه الاستاذان عبد الكريم الأمين وزاهدة ابراهيم ، وفيه سجل مختصر لكتب المراجع التي لا غنى للباحث عن الاستهداء بها في عمله . وقد ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب.

* أصدرت دار المعارف طبعة جديدة من كتاب « فارس بني عبس » للشاعر الاديب البحاثة السعودي الاستاذ حسن عبد الله القرشي وخرجت في سلسلة مكتبة الدراسات الادبية .

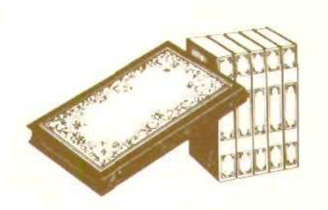
ومن كتب التراجم التي ظهرت أخيرا « استاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي » للدكتور عبد الحليم محمود ونشر دار الكتب الحديثة ، و « أبو بكر الصديق » ، و « عمر بن الخطاب » وكلاهما للاستاذ محمد صبيح ونشر دار الثقافة العامة ، والجزء الأول من السيرة الذاتية للاستاذ حسن الأمين وقد طبع في بيروت بعنوان « الذكريات » ، وكتاب « طه حسين بين أنصاره وخصومه » وقد ترجم فيه مؤلفه الاستاذ جمال الدين الآلوسي للدكتور طه حسين وأورد نصوصا كاملة من آراء معاصريه فيه ومعاركه الأدبية. وصدر الكتاب عن مطبعة الارشاد ببغداد ، وكتاب « ابن البيطار الاندلسي » أعظم صيدلي في الاسلام للاستاذين علي الجنبلاطي وابن الفتوح التوانسي ، وقد صدر عن مكتبة الانجلو المصرية ، و « علي لبيب جبر وفن العمارة » للمهندس الاستاذ عبد المنعم هيكل ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الامام الشافعي » للاستاذ عبد الغني الدقر وطبع دمشق .

* للعلامة الدكتور منصور فهمي كتاب عنوانه « خطرات نفس هائجة » وقد صدرت منه في حياته طبعة ثانية عنوانها « خطرات نفس » وصدرت له أخيرا طبعة جديدة عنوانها « أبحاث وخطرات » نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* ومن كتب الدراسات الأدبية الجديدة كتاب « أعلام الجيل الأول » للاستاذ أنيس الخوري المقدسي طبع بيروت و « قمم في الأدب العالمي » للدكتور بديع حقي ونشر اتحاد الكتّاب العرب بدمشق ، و « دراسة تحليلية في الشعر العربي المعاصر » للاستاذ محيي الدين صبحي ، وطبع دمشق .

* صدر الجزء الرابع والاخير من كتاب « أنباه الرواة على أنباه النحاة » للوزير جمال الدين القفطي من تحقيق العلامة الكبير الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم. وقد نشرت الكتاب الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ومن كتب المخطوطات التي صدرت أخيرا طبعة ثانية من الكتاب المشهور « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » وهو خمسة أجزاء حققها العلامة الراحل محمد بن عبد الله بن بليهد ونشرتها دار اليمامة للطبع والنشر ، وكتاب « أقيسة النبي المصطفى » للامام عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الحنبلي وقد حققه الأستاذان أحمد حسن جابر وعلي أحمد الخطيب ونشرته دار الكتب الحديثة ،



والجزء الثالث من « كتاب سيبويه » لأبي بشر عمرو ابن عثمان بن قنبر وقد حققه الأستاذ عبد السلام محمد هارون ونشرته الهيئة المصرية العامة ، والسُبع الرابع من كتاب « عيون الأخبار وفنون الآثار » لادريس عماد الدين القرشي وقد حققه الدكتور مصطفى غالب وطبع في بيروت ، و « كتاب البُلغة في تاريخ أئمة اللغة » للفيروز ابادي وقد حققه الأستاذ محمد المصري ونشرته وزارة الثقافة السورية ، و « المرتجل » لابن الخشاب وقد حققه الأستاذ علي حيدر وطبع بدمشق.

* ظهرت طبعة ثانية منقحة من كتاب « المدينة المنورة في التاريخ » للاديب الشاعر الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ ، وقد ازدانت هذه الطبعة بخارطة كبيرة للمدينة المنورة ومعالمها الأثرية والتاريخية . ونشرت الكتاب دار الصحافة العربية بالمدينة .

* من الكتب الدينية الجديدة « الاسلام ومشكلات العصر » للدكتور مصطفى الرافعي ونشر دار الكتاب اللبناني ، و « دعاء القرآن » للاستاذ عبد الرزاق سالم ونشر دار النهضة العربية .

* منتخبات من الأدب العربي القديم ظهرت مكتوبة بخط اليد في كتاب عنوانه « من كل واد حجر » وقد جمعها الأستاذ خير الدين العمري ونشرتها دار النهار البيروتية .

* من كتب الرحلات كتاب « وبقيت الذكريات» للاستاذ حنين وطبع ببيروت ، وكتاب « غريب في بلاد غريبة» للاستاذ أنيس منصور ونشر دار الشروق.

* في الأدب الروائي ظهرت الكتب التالية « افتتاحية للضحك » وهي مجموعة أقاصيص للاديبة عالية ممدوح ونشر دار العودة ، و « تذكرة لمتاهة الغربة »وهي مجموعة قصصية لوصال خالد ونشر دار الآفاق الجديدة ، و « بعد النهاية » وهي مجموعة مسرحيات للاستاذ مصطفى بركات ونشر مجلة الجديد ،و «جريمة التفاح » لأجاثا كريستي وترجمة الأديبة هدى ادريس ونشر دار الكتاب الجديد ،ورواية « الحالم » لكولن ولسن وترجمة الأستاذ سامي خشبة ونشر دار الآداب ، و « ستيفن ومنفيون» وهما مسرحيتان لجيمس جويس ظهرتا في كتاب واحد من ترجمة الدكتور أمين العيوطي ومراجعة الدكتور محمد اسماعيل موافي ونشر وزارة الاعلام الكويتية ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بهذه المجموعة من المؤلفات :

* « معجم المصطلحات الجراحية » بالانجليزية والفرنسية والعربية ، وضعه العلامة الراحل الأمير مصطفى الشهابي ، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقا ، وقد نقل هذه المصطلحات الى العربية عن الترجمة الفرنسية المعول عليها لدى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة ..

ويعتبر هذا العمل ذا أهمية بالغة للعلوم الزراعية وفروعها المتعددة .. والمعجم مزود بفهارس للألفاظ العربية والانجليزية والفرنسية وأرقامها مع شرح موسع لكل منها .. وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق الصادرة في عام ١٩٦٢.

* « معجم مصطلحات الفنون » وقد صدر باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .. وهو من تأليف الدكتور عفيف البهنسي .. ويقع المعجم فيما يقرب من ثلاثة آلاف كلمة وضع مقابلها الاصطلاحي ، وقد رتبت حسب الترتيب الهجائي . وهو مقسم الى قسمين رئيسيين ، يتضمن القسم الأول المصطلحات الفرنسية ومقابلها الانجليزي والعربي .. ويتضمن الثاني المصطلحات العربية ومقابلها الانجليزي والفرنسي . والمعجم من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق وقد تم طبعه بمطبعة خالد حسن الطرابيشي بدمشق عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

* « معجم المصطلحات الأثرية » وقد وضعه الأستاذ يحيى الشهابي بالافرنسية والعربية .. وقد حرص المؤلف على وضع أفضل المصطلحات العربية الصحيحة التي تتعلق بالألفاظ الأثرية . ويعتبر هذا المعجم مرجعا مفيدا ينتفع به طلاب المصطلحات الأثرية .. وقد صدر المعجم بمقدمة من الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق . وقد صدر المعجم ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الصادرة في عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) ■

الأصول والفروع في اللغة

الكلام في أصول اللغة وفروعها أمر هام في التنبه الى تطور اللغة ، والى أثر الأدوار الحضارية في هذا التطور . وقد تنبه أجدادنا القدامى الى مناقشة هذه القضية اللغوية : فاستخلص أبو الحسين أحمد ابن فارس في كتابه « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها » خلاصة في هذا الشأن .. قال ابن فارس :

« ان لعلم العرب أصلا وفرعا . أما الفرع فمعرفة الأسماء ، والصفات ، كقولنا (رجل) و (فرس) و (طويل) و (قصير) . وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلّم . وأما الأصل ، فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها ، ومالها من الافتنان تحقيقا ومجازا . والناس في ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين معا ، وهذه هي الرتبة العليا . لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنّة ، وعليها يعوّل أهل النظر والفتيا . وذلك أن طالب العـــلم العلوي يكتفي من أسماء (الطويل) باسم الطويل ، ولا يضيره ألايعرف (الأشق) ، و (الأمق) وان كان في علم ذلك زيادة فضل .

وانما لم يضره خفاء ذلك عليه ، لأنه لا يكاد يجد منه في كتاب الله — جلّ ثناؤه — شيئا ، فيحتاج يوما الى علمه ، ويقل مثله أيضا في ألفاظ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذ كانت ألفاظه هي السهلة العذبة . ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها ، لعيّ بكثير من علم محكم الكتاب والسنّة » .

ثم يقول ابن فارس : « والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول : أن متوسما بالأدب ، لو سئل عن الجزم و « التسويد » (١) في علاج النوق ، فتوقف أو عيّ به أو لم يعرفه ، لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصا شائنا ، لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى ، ولو قيل له : هل تتكلم العرب في النفي بما لا تتكلم به في الأثبات ، ثم لم يعلمه ، لنقصه ذلك في شريعة الأدب عند أهل الأدب ، الا أن ذلك يُرْدد دينه أو يجرّه لمأثم .

وبهذا التخطيط الواضح بين لنا ابن فارس رأيه في أصول اللغة وفروعها ، ونقل عبد الرحمن جلال الدين السّيوطي في كتابه « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » : أن الزركشي قال : « والحق أن العرب انما وضعت أنواع المركّبات أما جزيئات الأنواع فلا ، فوضعت باب الفاعل ، لاسناد كل فعل الى من صدر منه ، أما الفاعل المخصوص فلا . وكذلك باب (ان وأخواتها) أما اسمها المخصوص فلا . وكذلك سائر أنواع التراكيب . وأحالت المعنى على اختيار المتكلم . »

لعل مثل هذا الفهم الواضح لدى أجدادنا القدامى لمسألة الأصول والفروع هو الذي حمل أبو الفتح عثمان بن جنيّ على أن يقول في كتابه (الخصائص) : « ونحن نعتقد ان ، أصبنا فسحة ، أن نشرح كتاب يعقوب ابن السكيت في القلب والابدال ، فان معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته ، وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس . قال لي أبو علي رحمه الله (بحلب) سنة ثلاثمائة وست وأربعين : أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطىء في واحدة من القياس . »

وقد ذكر ابن فارس آثارا أحدثها الاسلام في فروع اللغة العربية ، فمما قاله : « كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم ، وآدابهم ، ونسائكهم ، وقرابينهم — فلما جاء الله — جلّ ثناؤه — بالاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع اخرى ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول ، وشغل القوم — بعد المغاورات ، والتجارات وتطلب الأرباح والكدح للمعاش في رحلة الشتاء والصيف ، وبعد الاغرام بالصيد والمعاقرة والمياسرة — بتلاوة الكتاب العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وبالتفقه في دين الله ، عز وجل ، وحفظ سنن رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الاسلام » .

وقال ابن فارس أيضا : « فمما جاء في الاسلام : ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان ، والايمان هو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا ، بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم ، انما عرفت منه اسلام الشيء ، ثم جاء في الشرح من أوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر . فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نافقاء اليربوع ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم (فسقت الرطبة)

(١) قال ابن سيده في المخصص : سودت الأبل وهو : أن يدق لها المسح البالي من الشعر فتداوى به أدبارها .

(٢) أنظر في ذلك أيضا : « فلسفة اللغة العربية وتطورها

بقلم: الدكتور هاشم ياغي

اذا خرجت من قشرها . وجاء الشرع : بأن الفسق هو الافحاش في الخروج عن طاعة الله ، جلّ ثناؤه . ومما جاء في الشرع كذلك : الصلاة ، وأصله في لغتهم الدعاء . وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود ، وان لم يكن على هذه الهيئة . »

وينهي ابن فارس كلامه حول آثار الاسلام في فروع اللغة بقوله : « وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه . فالوجه في هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول : في الصلاة اسمان : لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ، ثم ما جاء الاسلام به . وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو ، والعروض ، والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي .

وقد تتبع السيوطي ابن فارس وغيره من العلماء المسلمين ، وعقد فصلا في كتابه « المزهر » تحت عنوان : معرفة الألفاظ الاسلامية » أوضع فيه هذا الذي بداه ابن فارس من ذكر آثار الاسلام في فروع اللغة والذي نحب أن نتنبه اليه ، ونحن نتناول مثل هذه النصوص ، وهذا البحث معا ، بضعة أمور منها :

• ان هذا المثال الذي لفت اليه ابن فارس ، وغير ابن فارس ، من النظر الى دورين حضاريين في تاريخ اللغة العربية ، هما الجاهلية والاسلام ، انما هو مثال خصب ، ساطع ، لأنه يشير الى دورين انتقلت حياة العرب من أحدهما الى الآخر انتقالا واسع الميادين ، شامل التغيير ، عميق التأثير . فقد هدم الاسلام طائفة كبيرة جدا من قيم الحياة الجاهلية ، عند العرب ، في الميادين : السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية والفكرية ، والفلسفية ، والأدبية ، وغيرها . وكانت هذه الطائفة التي هدمت ، من قيم الجاهلية ، كبيرة كبرا خيّل الى الناس أنه لم يبق من حياة العرب في الجاهلية قيمة ما دون هدم ، ثم بناء قيمة اسلامية في مكانها .

• ان التغيير الذي أشرنا اليه في قيم الحياة العربية ، بخروجها من الجاهلية الى الاسلام كان واضح الآثار عميقا في الأدب العربي . ولعل ذلك يتضح لنا في هذه القيم الأدبية التي تبناها شعراء الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونافحوا من دونها ، وبنوها بناء قويا تتخاذل أمامه قيمة كقيمة هذا الذي روّج له مثلا « عمرو ابن كلثوم » بقوله يفتخر بقومه :

بغاة ظالمين ، وما ظلمنا

ولكنّا سنبدأ ظالمينا

ولعل الذي يوازن بين ما أثر عن الجاهلية ، من بعض الخطب ، أو ما ينسب اليه من بعض الخطب وبين خطب المسلمين خلفاء وقوادا ، وولاة ، أن يدرك هذا التغيير العميق الذي جاء به الاسلام في القيم الأدبية ، والأدب بحكم أنه فنّ يتغير ، أما اللغة في أصولها فلا .

• ان التغيير الذي أصاب حياة العرب بمجيء الاسلام وانتقالهم الساطع ، من دور حضاري الى دور حضاري آخر ، مخالف له مخالفة تكاد تكون تامة ، لم تكن آثاره العميقة الا في فروع اللغة ، كما أشار الى ذلك العلماء المسلمون السابقون ، فيما سلف من نصوص . لأن أصول اللغة العربية لم ينلها تغيير عميق بمقدار العمق الذي أصاب فروعها .

فبناء الجملة العربية من مسند ومسند اليه ، وطرائق العرب في اشتقاق لغتهم ، ومذاهبهم في جموعهم اللغوية ، ومناهجهم في ضبط علاقات أجزاء كلامهم ، وفي اعرابهم ، وعروضهم وتوسعهم اللغوي من الحقيقة الى ألوان من المجاز ، وسننهم اللغوية الأخرى ، كل ذلك لم ينله من التغيير العميق ، ما أشعر العرب أنهم انتقلوا من دور لغوي الى دور لغوي آخر متباين ، وان أصاب بعض هذه العناصر التي أشرنا اليها فيما سبق شيء طفيف من التطور .

والله يرجع ذلك الى طبيعة اللغة العربية وحدها ، بل وان ذلك تشترك فيه اللغات عامة ، بحكم تكونها وتطورها البطيء ، الذي لا يتأثر تأثر الآداب والفنون ، بانتقال الأمم من دور حضاري الى دور حضاري آخر .

فبناء الأصول في اللغات يستغرق حقبا طويلة جدا ، يجعلنا لا نستغرب بقاء كثرة كاثرة من أصول اللغة العربية على ما هي عليه تقريبا منذ عرفنا اللغة العربية ناضجة قبل ستة عشر قرنا تقريبا حتى الآن .

• ان التغيير الذي يصيب كثرة كاثرة من الألفاظ ، في لغة ما ، لا يعني أنه أصاب أصولها. وهذه هي اللغة الفارسية ، خير مثل على ذلك ، فقد دخلها من الفاظ اللغة العربية الشيء الذي طغى على مفرداتها الأصلية ، طغيانا تاما . ومع ذلك فانها ظلت من اللغات ، « الهندو-أوروبية » في أصولها وطرائق تركيبها (٢) ■

د. هاشم ياغي — الأردن

ر ضويط — مطبعة المقتطف والمقطم بمصر عام ١٩٢٩ .

المتحف الوطني الجديد بحلب

أسس متحف حلب القديم في سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) وأحل في قصر، بني في آخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي). وقد اختص متحف حلب القديم بحفظ الآثار الشرقية القديمة التي تعود الى فجر العصور التاريخية حتى الغزو اليوناني لبلاد الشرق الأدنى.

وتدفقت الآثار على متحف حلب عن طريق التنقيبات الأثرية وعن طريق الشراء والاهداء والمصادرة فضاق عن استيعابها. لهذا شعرت الدولة بضرورة انشاء متحف جديد، لكن المشروع تأخر تنفيذه بسبب تعذّر ايجاد الأرض المناسبة. وأخيراً تقرر انشاء المتحف في موضع المتحف القديم، ووضع حجر الأساس سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م). وتم بناؤه سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).

تألفت في السنة نفسها لجنة لتنظيم المتحف، وأكبّ أعضاء اللجنة على اختيار القطع الأثرية وتصنيفها وتوزيعها على الأجنحة والقاعات والخزائن، ثم وضعوا تصاميم للخزائن والحوامل، فأخرجوا الى عالم الوجود جناحين كبيرين وهما الجناحان الثاني والثالث في هذا المتحف.

وفي سنة ١٣٩١هـ (١٩٧٠م) انتهى تنظيم الجناح الرابع، وفي السنة التي بعدها وضع مشروع الجناح الخامس المخصص للآثار من العهود الكلاسيكية والبيزنطية وهو الآن قيد الانجاز.

أما مشروع الجناح السادس المخصص للآثار العربية الاسلامية فقد وضعت أسسه في



مجموعة من الأواني الفخارية المعروضة في قاعة الجزيرة بالمتحف، ويرجع عهدها الى الفترة الواقعة بين الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد.

سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) ولكن التنفيذ قد أرجىء بسبب الانهماك بالجناح الخامس . ووضع أيضا في السنة نفسها مشروع جناح خصص لآثار ما قبل التاريخ ، وهو في طريق التنفيذ أيضا . وفي هذه السنة الحالية ظهر الى الوجود جناح الفن الحديث ؟

وقد سمي المتحف الجديد « المتحف الوطني بحلب » لأنه يمثّل جميع الحضارات المتتالية التي مرت بالبلاد منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الحديث ، وقد أصبح صنواً للمتحف الوطني بدمشق وكلاهما مؤلف من فروع محدّدة ، وهي : آثار ما قبل التاريخ ، والآثار السورية القديمة ، والآثار من العهود الكلاسيكية والبيزنطية ، والآثار العربية الاسلامية ، والآثار الحديثة .

بقلم : الأستاذ محمّد أبو الفرج العش



منظر عام لمبنى المتحف الجديد في حلب وقد تم بناؤه في عام ١٩٦٧م .

وسنستعرض فيما يلي أهم الآثار المعروضة في هذه الفروع ، ونلمح الى بعض الآثار التي ستعرض في الأجنحة التي هي قيد الأعداد ، ونحب هنا أن نلفت النظر الى اهتمام اللجنة في التصنيف الدقيق معتمدة على خبرتها وعلى خبرة العلماء العرب والأجانب الذين أسهموا في اختيار الآثار وتصنيفها وتحديد عصورها . ولقد سعت اللجنة أن تطبق الأساليب الفنية في عرض الآثار وانارتها ، علما بأن المبنى لم يكن دائما مناسبا للقطع الأثرية المراد عرضها ، لذا فقد جرى تصميم خزائن يمكن أن تتلافى عيوب المبنى من حيث الانارة الطبيعية ، وقسمت الأجنحة الكبيرة بواسطة الخزائن الى قاعات .

فرع آثار ما قبل التاريخ

لم يتم عرض هذا الفرع بعد ، ولكن محتوياته الرئيسية تشمل :

• **آثار العصور الحجرية القديمة :** وتضم الأدوات الحجرية غير المهذبة التي استعملها الانسان لتأمين حياته والدفاع عن نفسه ضد الحيوانات المفترسة ، وقد كان الانسان في تلك العصور بدائيا تماما ، يعيش على الصيد والقنص ويلتجىء الى الكهوف .

• **آثار العصور الحجرية المتوسطة :** وتضم الأدوات الحجرية التي استعملها الانسان أكثر تهذيبا وتنوعا لتلبي حاجاته المتزايدة ومستواه المتقدم . لكنه لا زال يعيش في الكهوف ويقتات من الصيد والثمار .

• **آثار العصور الحجرية الحديثة :** ارتقت صناعة الأدوات والأواني الحجرية وأصبحت مصقولة جميلة حتى أنا لنكاد نقول أن انسان العصر الحاضر قد يعجز عن صنع مثل هذه الأواني الدقيقة والرفيعة من الحجر القاسي المجلو . وقد تنوّعت أدوات انسان هذه العصور ووسائله بسبب تعدد حاجاته . وفي هذه العصور تعلّم الانسان تدجين الحيوانات وَزراعة الأرض والاستقرار في قرى منيعة صغيرة ، وعرف اشعال النار .

• **آثار العصر الكالكوليتي :** وهو المرحلة بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، يحدّد بين الألف الخامس عشر والألف الخامس قبل الميلاد ، وفيه عرف الانسان القديم صناعة الفخار باليد ، وصنع بعض أدواته من العظام والعاج واستمر بتطوير الرعي والزراعة والقرية .

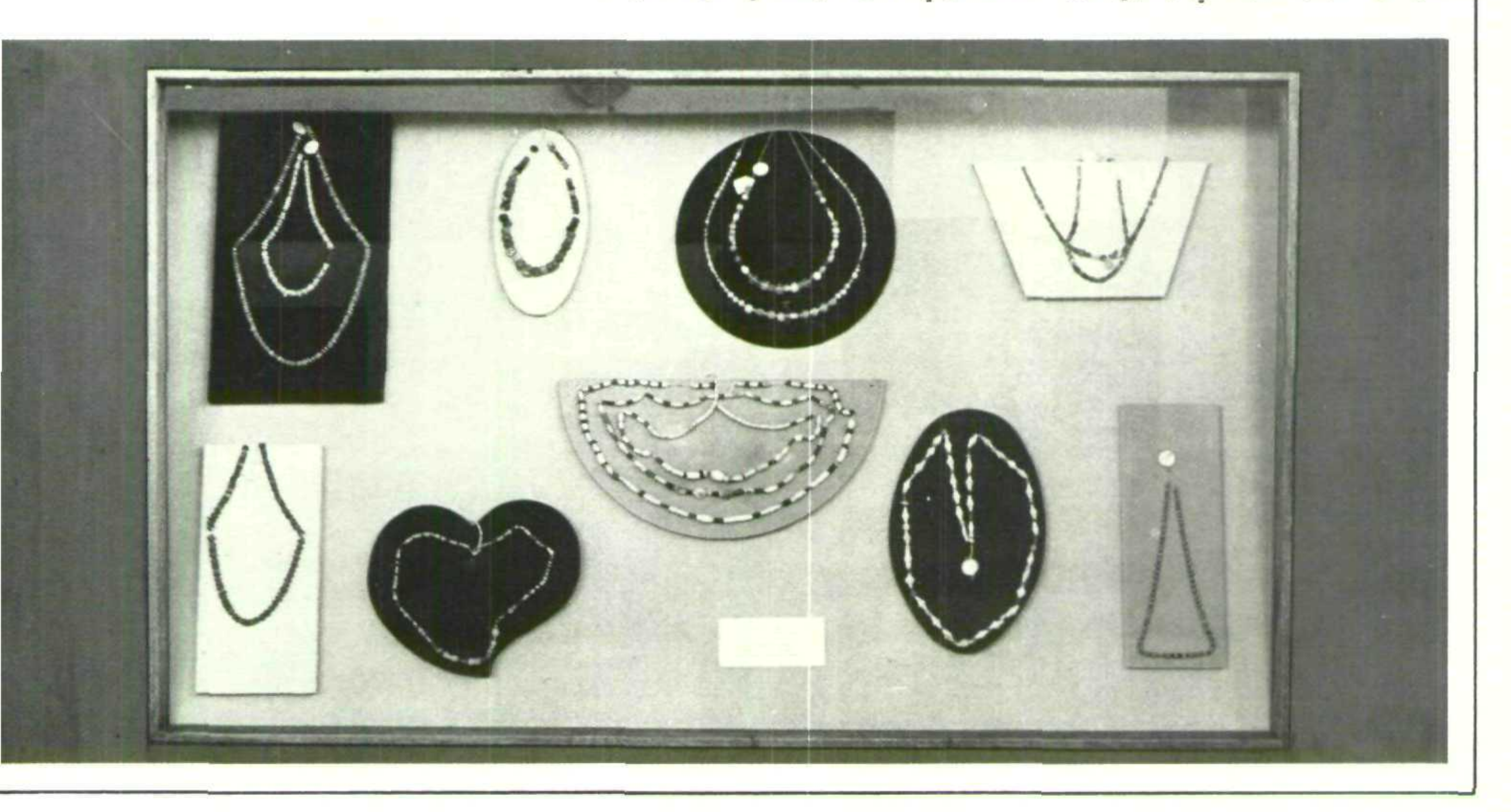
• **آثار العصور التاريخية القديمة (من الألف الرابع حتى سنة ٣٣٣ ق.م.) :**
عرضت هذه الآثار في ثلاثة أجنحة كبيرة ، قسمت الى قاعات ، وقد اعتمد في تصنيفها على عدة مبادىء منها التسلل الزمني ، والتوزع الجغرافي والاقليمي ، والتصنيف حسب المادة ، والتصنيف حسب الموضوع .

قاعة الجزيرة من الألفين الرابع والثالث ق.م

عرضت في هذه القاعة آثار « تل براك » و « تل ميفس » و « تل شاكر بازار » و « تل أسود » و « تل جدلة » . وقد أجرى التنقيب عنها في هذه المواقع بعثة بريطانية برئاسة « مالوان » بين سنتي ١٩٣٤–١٩٣٨م .

عرضت هذه الآثار مصنفة حسب المادة والموضوع في خزائن منفردة ، تضم الأواني الفخارية والدمى الحجرية والفخارية والأسلحة

عقود من الحجارة الثمينة التي يحتوي عليها المتحف الوطني ، وقد عرضت في خزانة منفردة .



البرونزية والأختام الحجرية (منها ما هو أسطواني الشكل يدرج على الطين قبل شيّه ومنها ما هو مسطح) ، كما عرضت الحليّ وهي عقود من الحجارة الثمينة . وعرض بخزانة خاصّة افريز جداري من الذهب والأحجار الكريمة عثر عليها في معبد العيون في تل براك . وأخيرا عرضت الرقم الفخارية وهي مرقومة بالكتابة الأسفينية التي كانت أداة العصر في سبيل تفاهم الشعوب واثبات وثائقه ، وهي أهم الآثار القديمة .

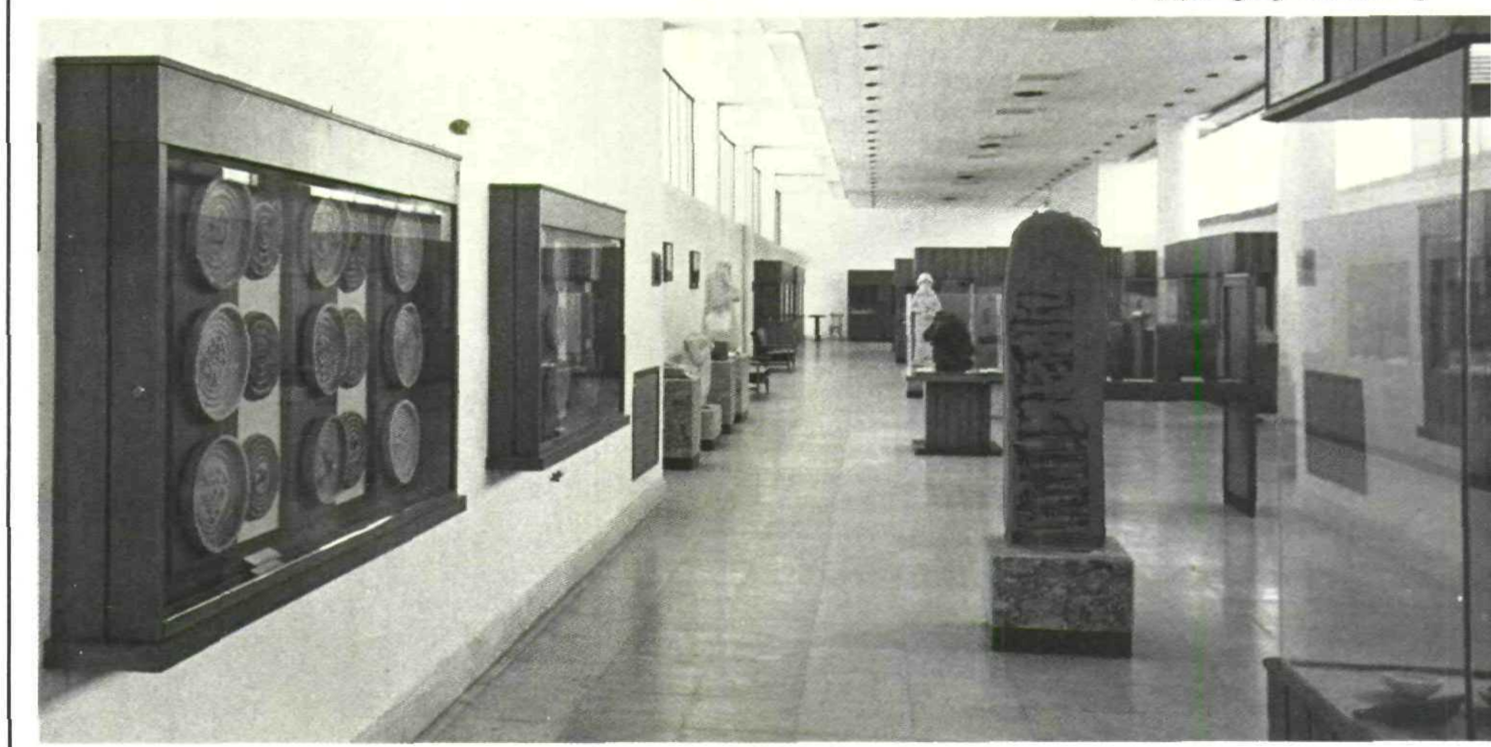
قاعة ماري « تل حريري »(١)

ترقى آثارها الى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وهي تمثّل جزءا من حضارة بلاد الرافدين العمورية ، وتفصح عن المستوى الثقافي والاجتماعي لهذه الحضارة في تلك الحقبة من الزمن . وقد عرضت تماثيل بالحجم الطبيعي لربة الينبوع من حجر الالباستر وللملك « ايشتوب ايلوم » من حجر الديوريت الأسود واللبوة البرونزية التي كانت تحمي باب المدينة . هذه التماثيل مثلت بشكل قريب من



طاسة ذهبية مزينة بزخارف بارزة أحدثت بالضغط . وهي من الآثار التاريخية التي عثر عليها في « رأس الشمرة » الواقعة على بعد ١١ كيلومترا شمالي اللاذقية .

جانب من المعروضات الأثرية التي تضمها قاعة مارى (تل حريري) الواقعة على الفرات الأوسط قرب مدينة البوكمال . . وهي من الآثار القديمة التي تمثل جزءا من حضارة بلاد الرافدين العمورية .



(١) تقع مارى (تل حريري) على الفرات الأوسط قرب مدينة البوكمال . وهي مدينة مندثرة من الألف الثالث ق.م. أجرى التنقيب فيها سنة ١٩٣٣ م بعثة فرنسية برئاسة الأستاذ أندريه بارو .

الواقع تدلّ على تقدّم فن النحت في ذلك العصر القديم . كما عرضت تماثيل مصغرة (بنسبة الثلث أو الربع) لأمراء ماري في موضع يمثلها وهي تؤدي المراسيم الدينية ، (٢) : الرأس حليق ، الجذع عار ، اليدان مضمومتان الى الصدر ، الازار من الصوف الطبيعي ويسمى (كوناكس) ويلاحظ أن العينين والحاجبين منزّلة بشكل متقن وقد استعمل في تمثيلها العظم وحجر اللازورد الطبيعي وأحيانا القار .

وعرض أيضا بعض الأواني الحجرية ، والفخارية ، والأسلحة البرونزية ، والرقم الفخارية المرقومة بالكتابة الاسفينية ، وعددها تسعة ، وقد عثر عليها في أساس هيكل ماري وتميّز منها رقيمان كبيران (٤٠ × ٤٢سم) عرضا لوحدهما .

ومن معروضات قاعة ماري ، الحليّ الثمينة من الذهب والحجارة الكريمة وقوالب من الفخار لصنع الخبز والحلوى بأشكال طريفة وجميلة .

قـاعة حـماة(٣)

وتعود آثارها الى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وهي آثار حثية وكنعانية وآرامية . وعرض من هذه الآثار نماذج من الأواني الحجرية والفخارية والدمى الفخارية والتماثيل الصغيرة البرونزية والبرونزية المغشاة بالذهب ، وبعض الأدوات البرونزية والعاجية والحليّ الذهبية.

قـاعة أوغاريت «رأس الشمْرة»(٤)

يرجع تاريخ آثار هذه المدينة الكنعانية الفينيقية الى القرنين ١٤ و ١٣ ق.م ، وهي كثيرة التنوع ، وتدلّ على مستوى رفيع في الصناعات الدقيقة .

وأهم المعروضات فيها طاس من الذهب مزيّن بزخارف بارزة حاصلة بالضغط مثّل فيها مشاهد صيد يبدو فيها غزال وثلاثة ثيران ، يتبعهم صياد بعربته ، وهو يهمّ بالرمي بقوسه ، وخلفه كلبان جاريان .

ثم طاس من الذهب مزين بزخارف بارزة أحدثت بالضغط ، وفي وسطه وردة وحولها عدة مشاهد تمثل عددا من التيوس وثورين وأسدا ، وأسداً ينقضّ على تيس وآخر يفترس ثورا. ومن المعروضات الأثرية التي تضمها هذه القاعة، فاس من البرونز محلاة بالذهب ، شفرتها من الفولاذ ، مثل عليها رأس خنزير في الخلف ورأسا أسدين وعقاب من البرونز المحلّى بالذهب ، وتبدو بين قدميه الأفعى المصرية ناشبة الى الأمام .

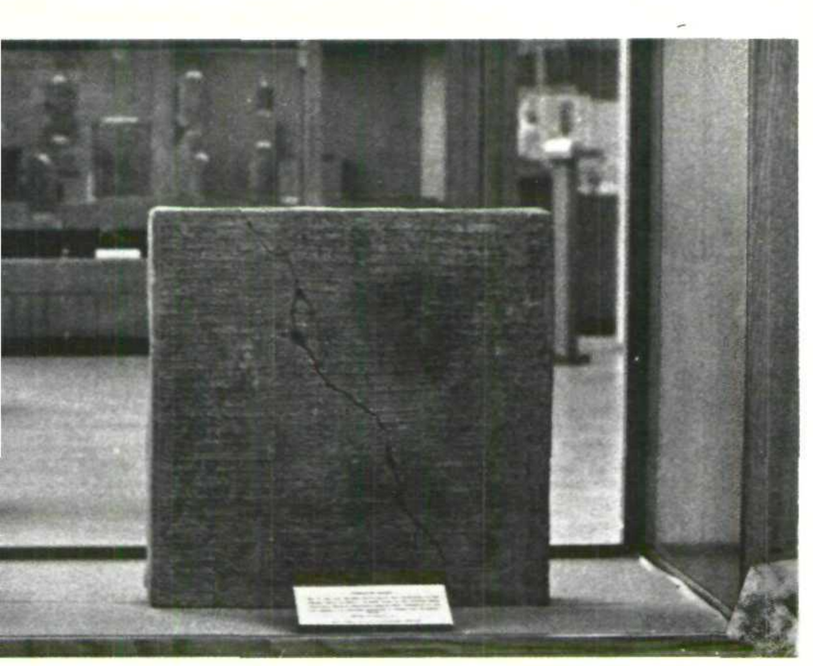
هذه القطع الأثرية وغيرها من التماثيل البرونزية والفضية المحلاة بالذهب ، والعلب المصنوعة من العاج والأختام الحجرية والأسطوانية والمسطّحة والرقم الفخارية تسجل تاريخ هذه المدينة ومراسلاتها مع البلاد المجاورة ، وأخيرا



أسلحة وأدوات أثرية مصنوعة من البرونز بشكل يبين وظائف
ويبدو الى اليمين رسم لظهر انسان وقد علق سهم باحدى فقر



مدخنة فخارية ذات مقسمات مستطيلة تأخذ شكل البرج . ويرجع تاريخها الى الألف الثاني قبل الميلاد .



لوحتان أثريتان من الصخر تمثلان جانباً من الحضارات التي مرت بها البلاد .

عرضت الأسلحة والأدوات البرونزية بشكل يبين وظائفها .

آثار الألفين الثاني والأول ق٠م

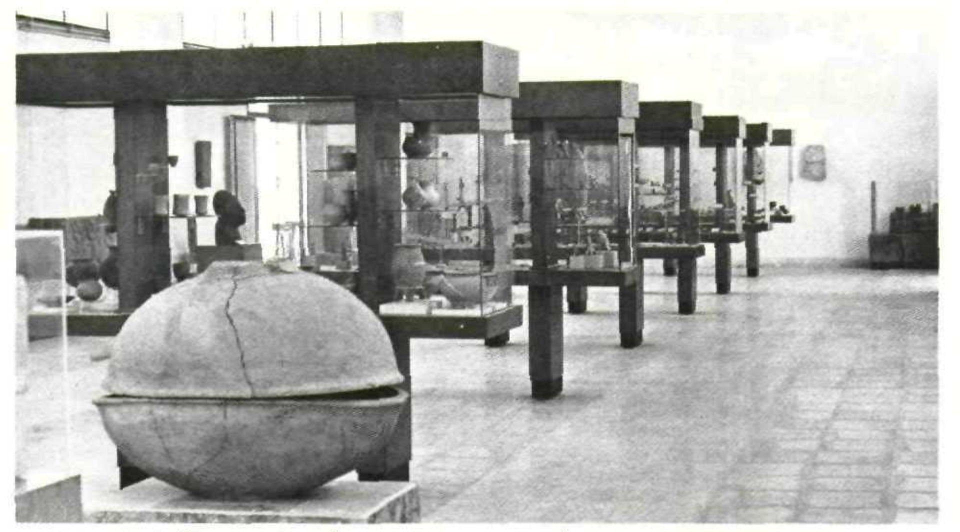
وتضم هذه الآثار قاعة غوزانا (تل حلف)(٥) وهي تمثل آثار الحضارة الآرامية التي ترقى الى القرن الثاني عشر ق.م. ، وقد اكتشف أهمها في القصر – المعبد ، وكان مدخله مزينا بثلاثة تماثيل كبيرة مصنوعة من حجر البازلت هي : عشتار على اللبوة ، وحدَدْ على الثور ، وآخر على الأسد. وقد أعيد تمثيل هذه الواجهة أمام باب المتحف الجديد نسخا عن الأصل المحفوظ في المتحف نفسه (٦) .

ومن بين معروضات هذه القاعة نحت بارز يمثل قرص الشمس المجنح يحمله شخص صوّر مرتين على الجانبين له مؤخرة ثور وهو « أنكيدو » الذي تذكره الأسطورة البابلية السومرية ، وتعني به الانسان الأول ، وقد مثّل زميله « غلغاش » في الوسط بشكل انسان كامل .

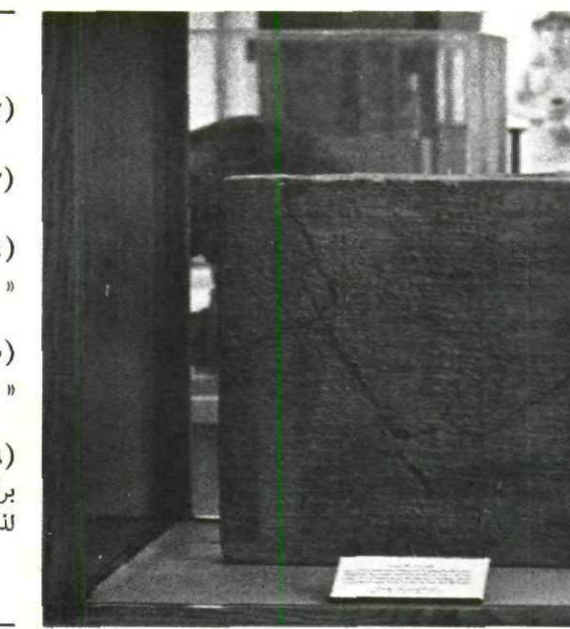
وعرضت أيضا كتلة ضخمة من البازلت كانت جزءا من جانب الباب الداخلي للقصر تمثل مقدمة أسد له رأس انسان وجذع طائر وذيل عقرب . ربما كان يقصد بهذا الشكل تمثيل جني أو محاولة تنسيق خصائص المخلوقات الممثّلة لتأتي بأعمال عجيبة تحمي القصر من الأرواح الشريرة .



قطعة من أجزاء التزيين المصنوعة من العاج التي كان يتحلى بها أثاث عرش ملك دمشق الآرامي «حزاقيل» الثاني.



جانب من الجناح الرابع التابع للمتحف الوطني ، وهو يضم نماذج من الأواني الفخارية والأدوات البرونزية .



(٢) كان الملك يقدم تمثاله بالحجم الطبيعي الى المعبد ، وكان الأمراء يقدمون تماثيلهم مصغرة بحسب مراتبهم .

(٣) نقبت في حماة بعثة أثرية دانماركية برئاسة الأستاذ « هارولد انهولت » بين سنتي ١٩٣٢–١٩٣٨م .

(٤) نقبت في هذه المدينة الواقعة على بعد ١١ كيلومتر شمالي اللاذقية بعثة فرنسية برئاسة الأستاذ الدكتور « كلود شيفر » منذ سنة ١٩٢٩ حتى الآن .

(٥) يقع تل حلف قرب رأس العين في منطقة الجزيرة ، قامت بالتنقيب فيها بعثة ألمانية برئاسة الأستاذ « ماكس فون أوبنهايم » ١٩١١–١٩١٣ و ١٩٢٧–١٩٢٩ .

(٦) كانت البعثة المنقبة قد قسمت عناصر هذه الواجهة بين متحفي حلب و برلين ، وقد اندثرت حصة متحف برلين أثناء الحرب العالمية الثانية ، و بقيت العناصر المحفوظة في متحف حلب مع نسخ مما كان محفوظا في برلين ، لذا أمكن اعادة انشاء الواجهة .

هذا وقد أعيد انشاء جزء من برج القصر ، وقد رصفت في أسفل الجدار نحائت بارزة مثّلت عليها حيوانات ومحاربون وصيادون وملك آشوري على عربته .

قاعة حداتو «ارسلان طاش» (٧)

ومن أهم المعروضات التي تضمها هذه القاعة أسد يمثل جزءا من جانب باب المعبد ، وهو مع صنوه يحرسان المعبد ، وقد مثل الأسدان بشكل مرعب معبّر (٨) . وكذلك تمثال حامل صندوق التقدمة مثّل بالحجم الطبيعي قريبا من الواقع . بالاضافة الى أجزاء تزيينية من العاج كانت تشكل عرش ملك دمشق الآرامي «حزاقيل» الثاني من القرن التاسع ق.م ، وكان الأشوريون قد نقلوا أثاثه الفاخر الى (حداتو) غنيمة بعد انتصار ملكهم «اداد نيراري» الثالث .

قاعة تل برسيب «تل أحمر» (٩)

وهي تمثّل الحضارات الحثيّة والآرامية الأشورية في القرن الحادي عشر ق.م. فما بعد . ولعل من أهم الآثار الموجودة في هذه القاعة ، النصب الحثي لتيشوب واقفا على حيوانه الخاص (الثور) حاملا بيده اليسرى شارة الصاعقة ، وبيده اليمنى فأسا ذات حدين .

وفي القاعة نصبان هامان من الحجر البازلتي يمثلان الملك الأشوري «اسارحادون» منتصر على «أوشانا هوروبن طهاركا» فرعون مصرا النوبي (في القرن السابع ق.م.) .

آثار الألف الأول ق.م

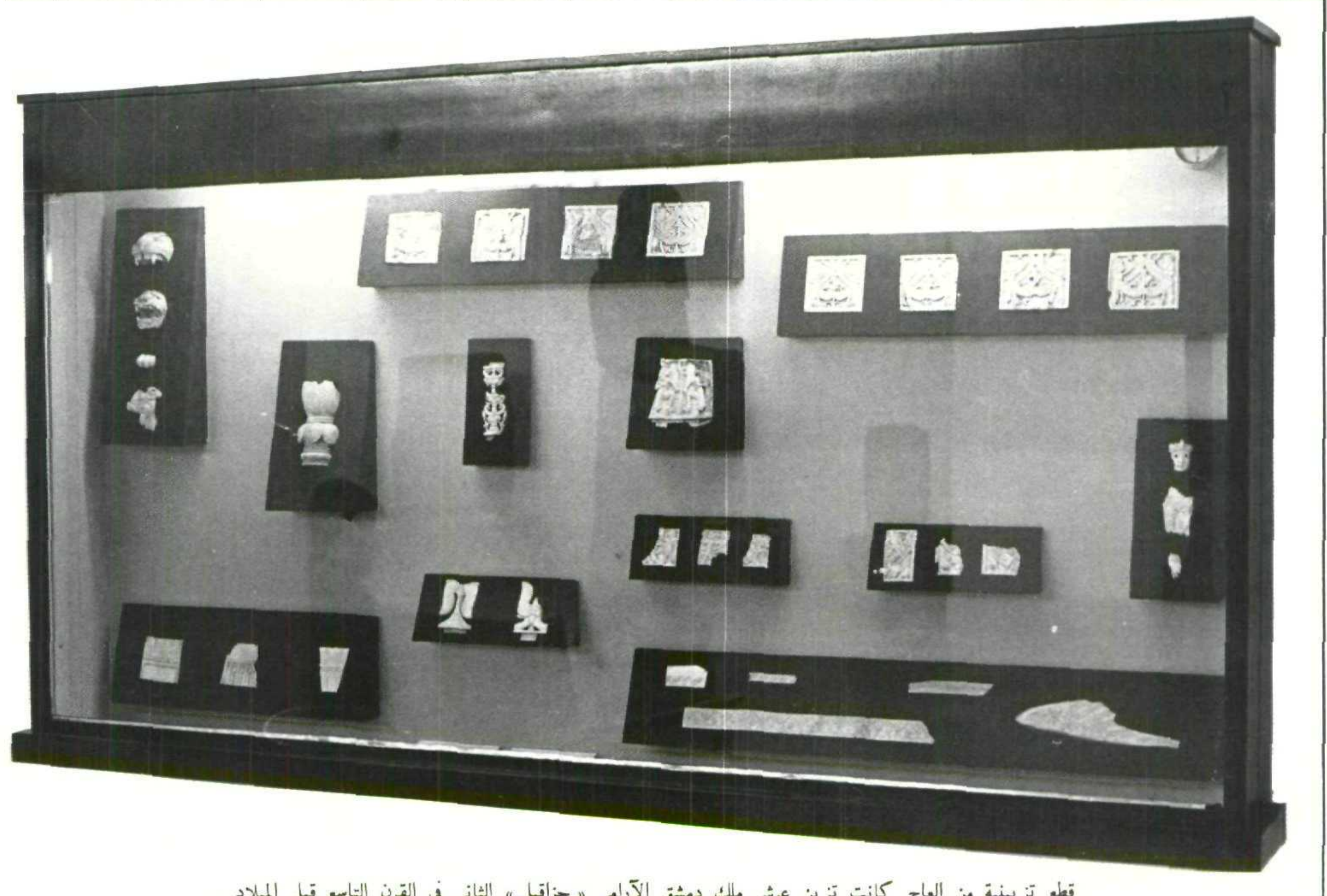
يتّصف هذا الجناح بأنه مصنّف حسب المادة وتقارب العصور ، لا حسب مبدأ التوزّع الاقليمي الذي صنّف بموجبهما الجناحان السابقان.

وهو يضم نماذج من الأواني الفخارية مصنفة حسب أسلوب طبعها ، والدمى الفخارية ، والأختام الأسطوانية والمسطّحة ، والأسلحة والأدوات البرونزية ، وبعض المنحوتات التي تمثّل معتقدات ذلك العصر .

آثار الفن الكلاسيكي والبيزنطي

منذ أن غزا اليونان بقيادة الاسكندر المكدوني سوريا سنة ٣٣٣ ق.م. فقد وقعت تحت تأثير

(٧) تقع حداتو (أرسلان طاش) في الجزيرة قرب الحدود التركية . قامت بالتنقيب في الموقع بعثة فرنسية برئاسة الأستاذين «تورو» و «دانجان» . ثم شارك بها الأستاذ «دونان
الطريف هو الذي أعطى القرية الحالية اسمها (ارسلان طاش) ومعناها (الأسد الحجري) . (٩) تقع الى شرقي وادي الفرات مقابل قلعة النجم (جسر منبج
السابع والسادس ق.م. نراها متأثرة الى حد بعيد بالفن المصري القديم ، فهي تبدو جامدة . الطرفان العلويان مثبتان الى الجانبين ، القدم اليسرى متقدمة الى الأمام ، ابتـ



قطع تزيينية من العاج كانت تزين عرش ملك دمشق الآرامي «حزاقيل» الثاني في القرن التاسع قبل الميلاد .

حضارة هيلينية غربية كانت تلميذة لحضارتنا الشرقية (١٠) في القرنين السابع والسادس ق.م ، ثم تكامل الفن اليوناني في القرنين الخامس والرابع ، فأنتج فنا رفيعا برع في النحت براعة لم يسبقه اليها أحد . وكان اتجاه الفن اليوناني يميل الى تمثيل الواقع بحذافيره . فاذا تأملنا نصبا يونانيا ، فانا نكاد نحس أن المنحوتة حية لا ينقصها الا الحركة ، الا أن الفن اليوناني في بلادنا تأثّر أيضا بالمحيط الشرقي ، لذا أُطلق عليه «الفن الهلنستي» لتمييزه من «الفن الهليني» اليوناني الصرف .

ومن معروضات هذا الجناح بعض المنحوتات المختلفة والأواني الفخارية والخزفية والزجاجية وبعض الحليّ والنقود ، كما يوجد مثلها من العهد البيزنطي .

الآثار العربية الاسلامية

للآثار العربية الاسلامية طابع متميز ، لأنها ارتكزت على مبادىء فكرية وروحية سامية أنكرت تجسيد الأشخاص ، واتجهت الى الفنون الجميلة النافعة والعناصر الزخرفية النباتية والهندسية وقليل جدا من الفنون الحيوانية المحوّرة والمجرّدة ، وذلك لابعاد فكرة التجسيد .

ومن بين الآثار العربية الاسلامية المعدّة للعرض : الفخار بأنواعه خلال العهود العربية ، وكذا الخزف والزجاج والأواني المعدنية والمخطوطات المنمّقة بالألوان والذهب والنقود العربية الأموية والعباسية والحمدانية والسلوقية والأتابكية والأيوبية والمملوكية والعثمانية . فهي جميعا تسجّل تطوّر الحضارة الاسلامية ونموّها من خلال العصور .

آثار الفن الحديث

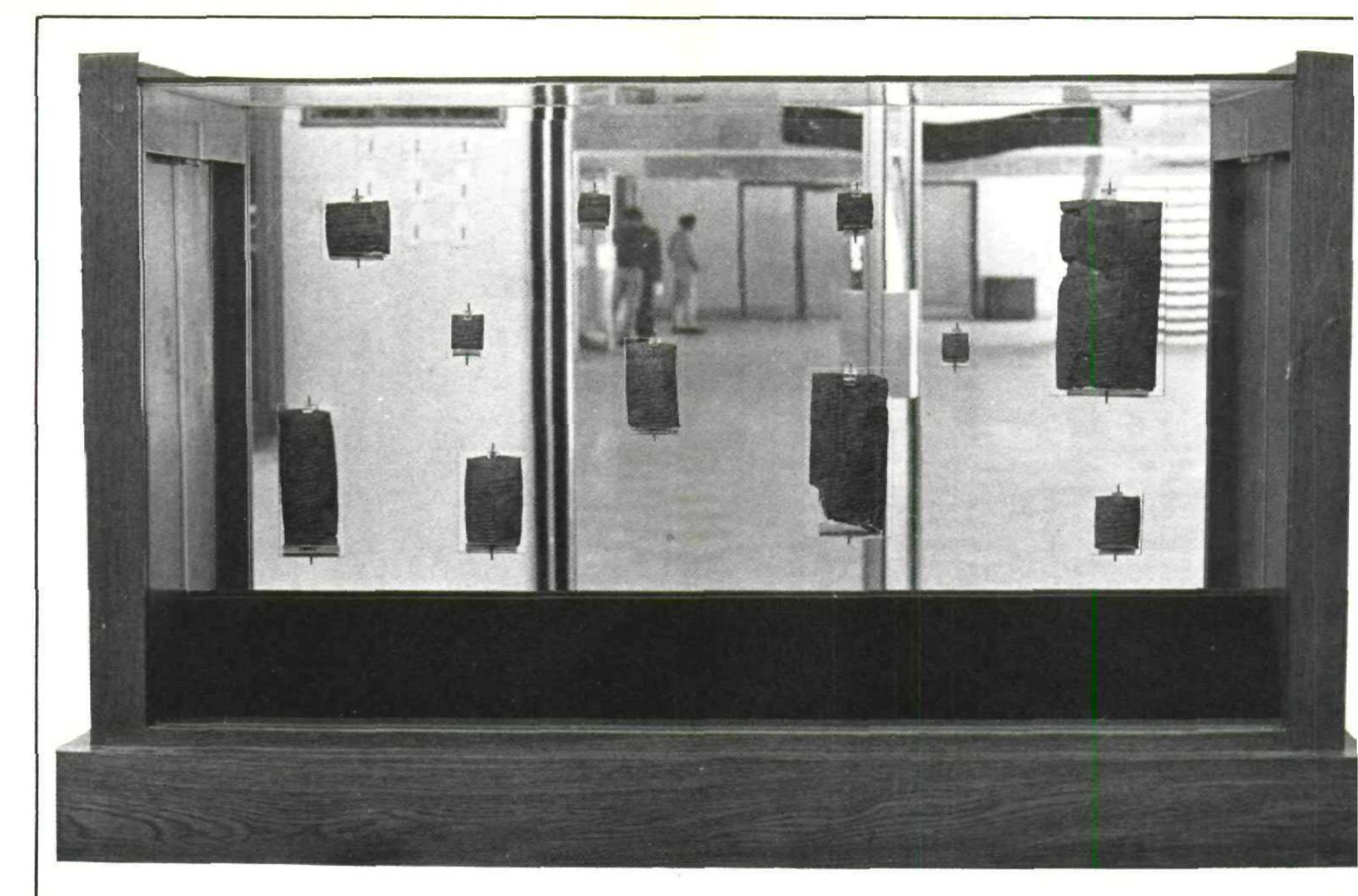
أقيمت معارض فنية مختلفة في مدينتي حلب ودمشق ، وقد اختير من معروضاتها عدد كبير من اللوحات الفنية والمنحوتات التي تمثّل مدارس الفن الحديث باتجاهاته الواقعية والتجريدية والرمزية مما أضفى على جنبات هذا الجناح طابعا فنيا حديثا ..

وهكذا يغدو المتحف الوطني بحلب بعد تكامله من أهم المتاحف الأثرية في الشرق الأوسط ، وقد استأثر باهتمام المختصين في علم الآثار في مختلف أنحاء العالم نظرا لأهمية الآثار المعروضة فيه ، وحسن تنسيقها ■

محمد ابو الفرج العش ـ دمشق

يوجد في حديقة المتحف اسدان آخران كبيران جدا ، مثل كل منهما جانبيا وكأنه يسير ، ومثلا من الامام وكأنهما واقفان (اي مثل كل منهما بخمس قوائم) . هذا الشكل
ن فيها البعثة الفرنسية المنقبة في حداتو ، وعاونها الأستاذ «رونه دوسو» والمهندس «لوسيان كافرو» .

(١٠) اذا تأملنا النصب اليونانية المنحوتة في القرنين
ة تبدو على الفم .



بعض الرقم الفخارية التي يضمها الجناح الثاني في المتحف ، وهي مرقومة بالكتابة الاسفينية التي كانت وسيلة للتفاهم بين الشعوب .

الأماني كلها تتساوى

للشاعر: الياس قنصل

لستُ أرثي لمن يكون طَموحاً — ذا أمانٍ شبيهة بالمحال
إن يَفُتْهُ بلوغها لدواعٍ — تصرف العزمَ عن سبيل المعالي
لم يفُتْه تمام آرابه في — عالمِ الوَهْم تحتَ أفقِ الخيال
يقطعُ العُمْرَ بين رؤيا وحلْم — ليس فيها وفيه غير الظّلال
خالقاً في شروده ما تشهّى — رافعاً منه رايةً للكمال
لست أرْثي لشاعرٍ ليس يدري — رغم سخط القضاء معنى الملال
تلتظي في فؤادهِ رغباتٌ — يحسبُ العرفُ أنها كالجبال
إن كوخاً يشاد بالفنّ باقٍ — حين يفنى قصر يشادُ بمال
غايةُ العمر ان تقضيه حرّاً — لا أسيراً في قالب الامتثال
رُبّ حلم يحوّل العمْر خلداً — ويقين يهدّه بالنّبال
أملٌ يذرعُ السماواتِ خيرٌ — منْ صنيع مسمّر بالنّعال
أنْتَ عبد لما ملكتَ ، وإنْ كُنْتَ تباهي بقَدْره وتُغالي
الأماني كلّها تتساوى — لا حصَى في حسابها أو لآلي
كلّ خطْبٍ يهونُ إلا فراغاً — هوَ في النّفْسِ أثقل الأغْلال
لستُ أرْثي لمن يسيرُ الى ما — يبْتَغِيه على بَصيصِ الآلِ
انّما أرْثي للذي يكنزُ الغلّة — مِن موسم سريعِ الزّوال
كلّ شيء – مهما غلا – إن ينلْه — المرْء أضحى في سرّه غير غال
أنا أرْثي لِمَن يُحالُ الى الأعْدادِ — مقْياسُ فوْزِه في النّضال
اينَ من عاش محرزا كلّ ما يطلب — ممّن يعيشُ بالآمال ؟

الياس قنصل – الأرجنتين



قطار من نوع حديث يبدو وكأنه يسابق الرّيح.

راجع مقال « القطار الطائر »



كانت الخيل وماتزال فخراً واعتزازاً لدى العربي .

تصوير : شركة التصوير الوطنية /